الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى-جيجل-

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

مذكرة بعنـــــــوان:

المصطلحات التداولية في التراث العربي دلائل الإعجاز أنموذجا

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: مصطلحية

إعداد الطالبتين: إشراف الأستاذ (ة):

- آمال جيجلي - سعيد بوبقار

- فتيحة بوكحيل

أعضاء لجنة المناقشة:

- الأستاذ: راشد شقوفي ..... رئيسا
- الأستاذ: سعيد بوبقار .....مشرفا
- الأستاذ: عباس حشاني .....عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2015-2016 م
1436-1437 هـ

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى-جيجل-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:.....

مذكرة بعنــوان:

المصطلح الصوتي في معجم العين

للخليل بن أحمد الفراهيدي

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: مصطلحية

إعداد الطالبتين:

- خليفي أنفال
- بورويس هدى

إشراف الأستاذ (ة):

- سلمى شويط

أعضاء لجنة المناقشة:

- الأستاذ: بشير أعبيـــد..... رئيسا
- الأستاذة:سلمى شويط .....مشرفا
- الأستاذ:بوزيد مومني .....عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2015-2016 م

1436-1437 هـ

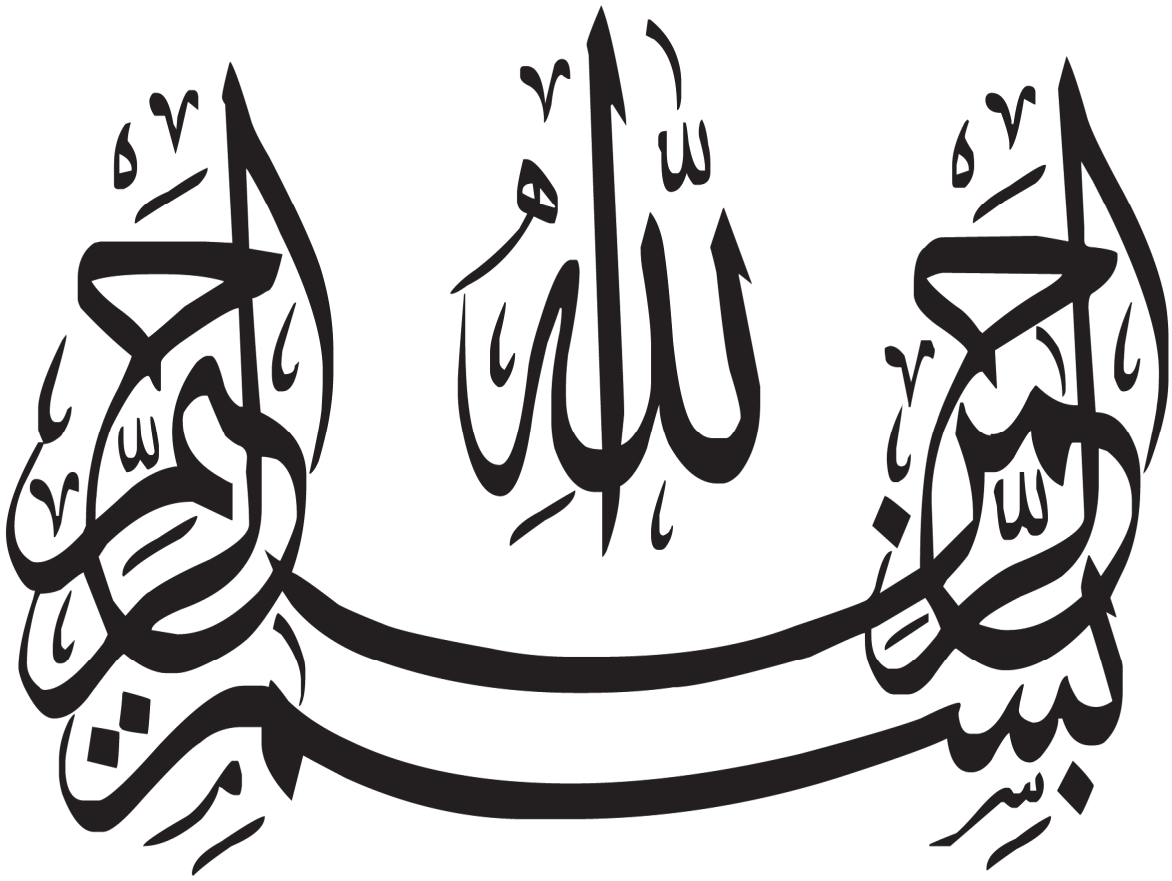
بسم الله الرحمن الرحيم

شكـــــر

إن الحمد لله الذي نحمده ونستعينه والذي بفضله أتممنا بحثنا هذا لا يسعنا بهذا المقام إلا أن نتقدم بالحمد والشكر لله تعالى على ما وهبنا إياه من العزم والمقدرة وعلى كتابة هذا العمل وكذلك نتقدم بالشكر الجزيل كل من مد يد العون وساهم في تدليل الصعوبات التي واجهتنا أثناء كتابة هذا العمل ونخص بالشكر أستاذنا بوبقار السعيد المشرف على هذا العمل، على كل ما بذله من وقت وجهد في توجيهنا وإرشادنا فجزاه الله خير جزاء وجعل ذلك في ميزان حسناته.

دون أن ننسى أستاذنا الفاضل عباس حشاني الذي لم يبخل بنصائحه وتوجيهاته علينا فالشكر الجزيل له.

وفي الختام نتوجه بالشكر الخالص لأعضاء اللجنة المناقشة كل باسمه على ما سيبدلونه من وقت وجهد وقراءة هذا العمل وتقويمه والحمد لله رب العالمين.

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على إمام البلغاء كافة نبينا محمد عبد الله ورسوله الذي أتاه الحكمة مفصلة وفضل الخطاب، وعصمه من الخطأ وألهمه الصواب وصلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد.

تعد اللسانيات التداولية من أحدث الاتجاهات اللغوية التي ظهرت وازدهرت على ساحة الدرس اللساني الحديث والمعاصر، إذ تعنى اللسانيات التداولية في سبيل دراستها للغة بأقطاب العملية التواصلية، فالتداولية إذن علم تواصلي جديد يعالج كثير من ظواهر اللغة وتفسيرها في حل مشاكل التواصل ومعوقاته، وبالرغم من حداثته إلا أنه له وجود آثار في تراثنا العربي القديم كالفلسفة، أصول الفقه والبلاغة هذه الأخيرة التي تمثل دراسة شاملة لمناحي الكلام أو دراسة اللغة حين الاستعمال.

إن اِتساع مجال البحث في التداولية نتيجة تعدد المشارب التي تستقي منها، جعلها درسا لغويا، يمد الدراسات اللغوية والمعرفية بعدد من الأفكار والمفاهيم والرؤى الجديدة، التي يستضيء بها الباحثون في دراساتهم، ويصلون من خلالها إلى نتائج قيمة، ما كانت لتبرز إلا في ضوء اللسانيات التداولية ومناهج دراستها للمعنى، وهو ما يجب اِستثماره في دراسة التراث العربي.

فالتداولية إذن دراسة للغة أثناء استعمالها واستخدامها في سياق التخاطب ومن هنا تكمن أهمية التداولية في إيصال المعنى للمخاطب عبر التخاطب عن طريق الفهم والإفهام وبالتالي تكون التداولية مدخلا مناسبا لدراسة التراث البلاغي العربي، لما تتوفره من آليات في الكشف عن المعنى ومكوناته.

وقد ألف في هذا المجال طائفة من النحاة والبلاغيين نذكر على سبيل المثال الجاحظ في كتابه البيان والتبيين ومفتاح العلوم للسكاكي ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني الذي يعد هذا الأخير مستودعا خصبا للثقافة الأدبية العربية حيث صب جل اهتمامه على قضية الإعجاز القرآني وهو من أكثر الموضوعات جدلا وتشعبا.

ونظرا لأهمية العلاقة القائمة بين البحث البلاغي القديم، والمفاهيم التداولية المعاصرة ولاسيما القضايا البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني وقع اِختيارنا لموضوع مذكرتنا تحت عنوان "المصطلحات التداولية في التراث العربي دلائل الإعجاز –أنموذجا–".

وقد اخترنا هذا العنوان لشدة تعلقنا بالتراث العربي ورغبتنا في الكشف عما خلفه علمائنا القدامى لنظريات صائبة كانت مقابلة للكثير من الأفكار اللسانية الحديثة.

هدفنا في هذا البحث القيام باستخراج المصطلحات التداولية التي تناولها الجرجاني في كتابه وذلك من أجل تحليلها وتفسيرها في ضوء الاستعمال التداولي المعاصر، معتمدين في ذلك طريقة معالجة الجرجاني للأساليب البلاغية وتحليلها وتفسيرها وكيفية مطابقتها للمقام، مع محاولة تحديد نقاط التشابه والاختلاف بين عبد القاهر والمحدثين، وهذا ما يتضح لنا من خلال العناصر الأساسية التي اعتمدها الجرجاني في كتابه الدلائل كونه خطابا موجها، وهو ما يتناسب ومعطيات أو عناصر التداولية مع محاولة إستخراج تحليلات عبد القاهر الجرجاني للنماذج الخطابية التي تشترك مع القضايا التداولية في تحديد أفعال العملية التواصلية ضمن السياق والخطاب الذي ترد فيه فجيء بهذا العنوان بغرض الإجابة عن الإشكالية التالية:

كيف تجلت التداولية ومباحثها في ثنايا نظرية النظم ضمن كتاب دلائل الإعجاز؟

وتتفرع هذه الإشكالية إلى:

- ما هي آليات التخاطب عند الجرجاني؟ وكيف بنى خطابه؟

مكنتنا هذه التساؤلات من معرفة وجهة مسار البحث:

وذلك من خلال إعتبار دلائل الإعجاز خطابا موجها من مرسل إلى متلق معين مستعملا في خطابه أساليب مقنعة من أجل التأثير في متلقيه، معتمدا في ذلك على آليات قصد تحصيل التواصل وإنجاحه حيث اختار الجرجاني آليات لمناسبة مقام القول من أجل إيصال مقاصده عبر الخطاب بداية من اللغة التي سخرها في الكتابة وأسلوب الطرح المعرفي لأفكاره، فهي لغة تساهم في تحقيق التفاعل بين طرفي الخطاب (المتكلم-السامع) من أجل إفهام المتلقي وإيصال الغرض إليه، كما أفاض حديثه عن قضية النظم والتي جعلها مدار حديثه عن إعجاز القرآن ودليله.

فمن تلك الإشكاليات تمكنا من تقسيم البحث إلى تمهيد وفصلين كما يأتي:

تناولنا في المقدمة فكرة عامة حول الموضوع، أهمية الموضوع وسبب اختياره والأهداف المرجوة منه.

تناولنا في التمهيد التعريف بالبلاغة وتاريخ نشأتها كما أشرنا إلى العلاقة بين البلاغة والقرآن بحيث أن البلاغة استمدت منبعها من القرآن الكريم، كما سلطنا الضوء على بعض أمهات الكتب في البلاغة نذكر منها: البيان والتبيين للجاحظ، مفتاح العلوم للسكاكي ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني.

ليأتي الفصل الأول بعنوان: ماهية التداولية والمصطلح ومن خلاله حاولنا الإحاطة بهما وذلك بتقديم تعاريف شاملة لكل منهما، أما الفصل الثاني فخصصناه لدراسة تطبيقية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني تناولنا فيه استخراج المصطلحات التداولية مع محاولة الإحاطة بنقاط التشابه والتشابك في فكره مع المحدثين معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي الإجرائي، أما فيما يخص الدراسات السابقة:

تجليات مفاهيم التداولية في التراث العربي: تفسير فخر الدين الرازوي لسورة المؤمنون أنموذجا لعبد الرحمان بشلاغم وقضايا التداولية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ذهبية حمو الحاج تقبايت وعلى قائمة من المصادر والمراجع أهمها:

– في تاريخ البلاغة العربية لعبد العزيز عتيق و التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي والتداوليات في علم استعمال اللغة لحافظ إسماعيلي علوي وعلم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية لعلي القاسمي والمصطلح والمصطلحية لعبيدي بوعبد الله.

من أبرز الصعوبات التي واجهتنا على مدار إنجازنا للبحث ما يلي:

– صعوبة حصر المدونة نظرا لتشعب القضايا الواردة فيها.

– صعوبة منهج عبد القاهر في الكتابة، مما إستدعى جهدا في ربط عمله بالمنهج التداولي المعاصر.

– ولا يسعنا في الأخير إلا أن نتقدم بجزيل الشكل لأساتذنا المشرف السعيد بوبقار الذي دأب على مساعدتنا من أجل إتمام هذا البحث، كما أشكر الأستاذ الفاضل عبّاس حشاني على فتح باب المعرفة لنا وأثمن غاليا جهد لجنة المناقشة على تحكيم هذه المذكرة من أجل تقويمها.

وإننا إذ نتقدم بهذه الدراسة لعلنا يقينين بأنها لم تصل إلى مرتبة الكمال، إذ الكمال لله وحده فإن أصبنا فالله الحمد بدءا وختاما على توفيه لنا، وإن أخفقنا فحسبنا أن ننال أجر الاجتهاد والمثارة وشكرا.

مدخـــــل

تمهيد

1- تعريف البلاغة:

1- تعريف البلاغة لغة:" الوصل والانتهاء يقال بلغ فلان مراده إذا وصل إليه وبلغ الركب المدينة إذا إنتهى إليها أو شارف عليها" [1]

وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ: إدا أحسن التعبير عما في نفسه..

وتعرف كذلك:" البلاغة الفصاحة ورجل بليغ وبَلْغٌ وبَلَغَ: حُسن الكلام فصيحة". [2]

فالبلاغة إذن والفصاحة ترجعان إلى معنى واحد وإن اختلف جذرهما اللغوي لأن كل واحد منهما هو الإبانة عن المعنى والإظهار له فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه.

يظهر أن البلاغة" أول ما وضعت لتدل على الوصل إلى المكان والنهاية إلى الغاية التي يقصدها العرب في بداوتهم ورحيلهم من مكان إلى مكان آخر ثم تطور هذا اللفظ ليشمل مع هذا المدلول الحسي أمورا معنوية ينتهي بها صاحبها إلى ما يريد أن يصل إليه من غايات متعددة". [3]

- من خلال ما سبق نجد أن البلاغة تدل على الوصل والانتهاء، فهي كلام يجيش في الصدر ليقذف بها على اللسان.

2- تعريف البلاغة اصطلاحا:" هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب مع مناسبة كل كلام للموقف الذي يقال فيه، والأشخاص الدين يخاطبون به [4]وهي تقع وصفا للكلام والمتكلم فقط دون الكلمة". [5]

بلاغة الكلام:" هي مطابقته لما يقتضيه حال الخطاب* مع فصاحته ألفاظه[6]" مفردها ومركبها وحال الخطاب ويسمى المقام وهو الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة والمقتضى ويسمى الاعتبار المناسب وهو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة.

---

[1] الخليل بن أحمد الفراهدي: العين، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، ج1، دار الكتب العلمية، لبنان، مادة بلغ، ط1، 2003، ص121.

[2] بن منظور : لسان العرب ،تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون،دار المعارف ،(د. ط)، (د. س) ،ص 346.

[3] فضل حسين عباس: البلاغة فنونها وأفنانها على المعاني،دار النفائس للنشر والتوزيع ،ط12،2009، الأردن، ص 17.

[4] أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان،المكتبة العصرية للطباعة والنشر، لبنان،(د.ط) 2002، ص43.

[5] المرجع نفسه، ص 39.

* مقتضى الحال هو ما يدعو إليه الأمر الواقع أي ما يستلزمه مقام الكلام وأحوال المخاطب من التكلم على وجه الخصوص ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين واعتبار طبقاتهم في البلاغة وقوتهم في البيان والمنطق.

[6] الخطيب القزويني:الإيضاح في علوم البلاغةْ،المكتبة العصرية للطباعة والنشر، لبنان،(د.ط)، 2004، ص17.

فالبلاغة إذن صفة راجعة إلى اللفظ باعتبار إفادته المعنى عند التركيب.

إن البلاغة في الكلام مرجعها إلى الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وإلى التمييز بين الكلام الفصيح من غيره والثاني منه ما يتضح في علم متن اللغة أو النحو أو يدرك بالحسن وهو ما عدى التقعيد المعنوي.

بلاغة المتكلم: ملكة في النفس يقتدر بها على تأليف كلام بليغ[1] في أي غرض كان ومطابقته المقتضى الحال مع فصاحته، وتلك غاية لن يصل إليها إلا من أحاط بأساليب العرب وعرف سسن تخاطبهم في مفاخراتهم، ومديحهم، وهجائهم وشكرهم واعتذارهم ليكون لكل مقام مقال.[2]

إن البلاغة ليست في اللفظ وحده وليست في المعنى وحده لكنها أثر لازم لسلامة التأليف وحسن الانسجام.

لقد اختلف حد البلاغة عند عامة العرب والعلماء الذين تتبعوا مفهومها فقد سئل بعض البلغاء ما البلاغة؟ فقال يفهم كثيرا لايسأم، وقال آخر معاني كثيرة في ألفاظ قليلة، وقيل لأحدهم: ما البلاغة؟ فقال إصابة المعنى وحسن الإيجاز، وقال آخر وضوح الحالات وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة، وسأل بعض الأعراب من أبلغ الناس؟ فقال: أسهل لفظ وأحسنهم بديهة، وقيل لبعضهم ما البلاغة فقال: إبلاغ المتكلم حاجته لحسن إفهام السامع وذكر بعض العرب البلاغة معرفة الفصل والوصل أو تصحيح الأقسام واختيار الكلام أوهي القوة على البيان مع حسن النظام.[3]

كما يستحسن في البلاغة البصر بالحجة و المعرفة بمواضع الفرصة أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها إذا كان الإفصاح أوعر طريقة وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك وأحق بالظفر.[4]

فمن خلال هذا نجد أن البلاغة آلة التوسع في معرفة العربية ووجوه استعمالها والعلم بأحسن الألفاظ ورديئها وما يصلح في كل واحد من الكلام.

2- تاريخ نشأة البلاغة وتطورها:

بلغ العرب في الجاهلية مرتبة رفيعة من البلاغة و البيان، فقد صور الذكر الحكيم ذلك في غير موضع منه من مثل:﴿الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرحمن: 1-4 ،﴿ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ

---

[1] المرجع نفسه ،ص 19.

[2] أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان، ص 42.

[3] أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين تحقيق عبد السلام محمد هارون، الكتاب الثاني ج1، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، مصر،ط7، 1998، ص 88،و ينظر :حميد أدم تويني ،البلاغة العربية المفهوم والتطبيق ،ص 21.

[4] أبي عثمان عمرو بن بحرالجاحض، البيان والتبيين ،ص 88.

﴾ المنافقون: 4،﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ البقرة: 204 . حيث كان عرب الجاهلية متمكنين من لغتهم حتى قال خطيبهم أكثم بن صيفي: البلاغة الإيجاز وحين أخد الوليد ابن المغيرة بالقرآن الكريم لدى سماعه، فالقرآن الكريم تحدى هؤلاء العرب باللغة التي كانوا يتميزون بإتقانها وبمعرفة أسرار أساليبها والرسول عليه الصلاة والسلام، كان شديد العناية بتغير الألفاظ في كلامه، وكان يراعي مقتضى الحال في رسائله، كما كان يحث على ترسيخ قيم أسلوبية جديدة كالابتداء بحمد الله والنهي عن السجع المتكلف المصطنع حين جاءه رجل يريد التنصل من مسؤولية قتل الجنين. [1]

ولقد كانت للعرب في الجاهلية قوة تمييز فطرية بين الأساليب على اختلاف درجاتها، هذا يدل على ذلك تلك النماذج النقدية الأولى التي أوردتها أمهات الكتب الأدبية واللغوية، والتي يمكن أن يكون قد أوضحتها قبة التحكيم التي كانت تضرب للنابغة في سوق عكاظ وقصته مع حسان بن ثابت حين فضل عليه الخنساء وكذلك قصة الشعراء مع بعضهم البعض، وزهير بن أبي سلمى وأمثاله ممن كانوا يسمون عبيد الشعراء وكانوا ينقحون أشعارهم ويعيدون فيها النظر استدراكا مسبقا منهم لأي خطأ يمكن أن ينجم عن البداهة و الارتجال وسموا كثيرا من الشعراء بألقاب تدل على استحسانهم لأشعارهم، وهذا دلالة على مدى جودتها.[2]

ومند مطلع النصف الثاني من القرن الهجري الأول تقريبا نلاحظ صدور الأحكام الجمالية على روائع الشعر العربي إذ وجدت مجالس أدبية تضم عددا من الأدباء وأصحاب البلاغة ومن ذلك الأحكام التي أصدرها ابن أبي عتيق ناقد الحجاز على أشعار عمر بن أبي ربيعة وغيره، ومنها اجتماع جرير والفرزدق وجميل في ضيافة السيدة سكينة بنت الحسين بن علي في المدينة، وحكمها على النماذج من أشعارهم[3]،وبفعل الإسلام ازدادت البلاغة نموا مما أدى إلى تحضر العرب وخروجهم من عزلتهم في الجزيرة إلى الأقطار والمدن المفتوحة واستقرار الكثيرين منهم فيها،واحتكاكهم عقليا بحضارتها، وكل هذا أعان على رقي العقلية العربية وانفتاحها واتساع أفاقها والذي لا شك فيه أن الإسلام كان عاملا قويا في تطوير اللغة عن طريق استخدام المجاز الذي وسع الفكر العربي ونوع مجالاته على أساس أنه الصلة بين الألفاظ والمعاني.أجل إن اتساع الفكر العربي في هذا العصر كان الوسيلة إلى إدخال الألفاظ الجديدة للدلالة على ما استحدث في المجتمع العربي الجديد مما لم يكن فيه قبل الإسلام، كذلك كان

---

[1] شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ،ص9.

[2] أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، المكتبة العصرية صيدا، لبنان، ط ، 2002، ص 6- 8.

[3] يوسف ابو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة النشر والتوزيع ، عمان ، الأردن، ط 1، 2007 ص 13.

اتساع الفكر العربي وسيلة التوسع اللغوي وذلك باستعمال الكثير من الألفاظ استعمالا مجازيا أي بتحميلها معان جديدة لم تكن تدل عليها بأصل وضع لغوي. [1]

ففي صدر الإسلام ازدهرت الخطابة العربية ونهضت نهضة ملحوظة لكثرة دواعيها، وبلغت عناية الخطباء بها مبلغا عظيما، وراحوا يتفننون في طولها وقصرها على حسب المقتضيات، ويتخيرون لها من الألفاظ أحسنها وأنسبها ويتجنبون منها كل ما يثقل على اللسان نطقه وعلى السمع وقعه كما يتجنبون كل غريب يعوق سرعة الإفهام، فالاهتمام أولئك الخطباء، ومحاولتهم الارتقاء بأساليبهم البيانية وتنويعها تدل على إدراكهم لبعض أسرار البلاغة التي تكسب القول جمالا وتأثيرا في النفوس.

ولقد كان لهؤلاء الخطباء دور فعال في نشأة علم البلاغة، وإرساء قواعدها ومعالمها.

كما كان لطبقة الكتاب أكثر في نشأة البلاغة العربية وتطورها، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرسل إلى العرب وحدهم وإنما أرسل إلى الناس جميعا[2] لقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ سبأ: 28.

ولما اتسعت الفتوحات الإسلامية واختلط العرب بغيرهم، وضعف الاعتماد على الذوق وحده، كان لا بد من أن تقعد القواعد فوضع أبو عبيدة مجاز القرآن وهو إن كانت عنايته لغوية، فلقد كانت له بعض الملحوظات البيانية، ثم جاء الجاحظ فكان له فضل باتساع دائرة هذه الملحوظات البيانية، وذلك بما منّ الله عليه من قريحة ودهن وذكاء، وبما كان له من سعة في الثقافة والاطلاع فلقد كان بحق غزير الثقافة واسعة المعرفة، ثم جاء ابن قتيبة، وهو أن لم يبلغ مرتبة الجاحظ من حيث تسجيل الملحوظات والغوص على التقاط المعاني، فإنه فاقه من حيث النسق في الترتيب وحسن التبويب مع سعة في العلم، ثم جاء ابن المعتز فألف كتاب البديع، وجمع فيه سبعة عشرة نوعا بديعا. وذكر فيه أنواعا مما بنيت عليه البلاغة فيما بعد. [3]

إليه تنسب من قريب أو بعيد ،فإن به أبواب أخرى أفادها لفنون البيان والبديع. [4]

---

[1] عبد العزيز عتيق: في تاريخ البالغة العربية، دار النهضة العربية، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،لبنان(د.ط)،(د. س)،ص 12-13

[2] المرجع السابق : ص 18.

[3] فضل حسين عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط12، 2009، ص73

[4] المرجع السابق ،ص 16.

وبعده ظهر نابغة البلغاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني، الذي وضع كتابي دلائل الإعجاز في علم المعاني وأسرار البلاغة في علم البيان وبعض المصطلحات البديعية [1] والذي هو مؤسس البلاغة العربية، أحد أئمة العربية والنحو والكلام. على مذهب الأشاعرة وقد رسم لنفسه منهاجا عرضه في الكلمات التالي(واعلم أن الذي يوجبه ظاهرة الأمر، وما يسبق إليه الفكر، أن نبدأ بجملة من القول في الحقيقة والمجاز، وتتبع ذلك القول في التشبيه والتمثيل، ثم ننسق ذكر الاستعارة عليها، ونأتي بها في إثرهما،وذلك لأن المجاز أعم من الاستعارة".

فقد سار عبد القاهر الجرجاني على طريقة مغايرة في تأليف كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وامتاز بها على كتب البلاغة الأخرى، فهي طريقة تجمع بين العلم والعمل الذي يثبت به العلم هذا الأخير يتمثل في القواعد الكلية، وأما العمل فيتمثل في الشواهد والأمثلة. فإن كانت القاعدة الكلية هي صورة إجمالية للمعلومات الجزئية، فإن الأمثلة والشواهد صورة تفصيلية لها، وبهذه الطريقة امتاز كتاباه على معظم كتب البلاغة الأخرى التي ظهرت بعده واقتصرت على سرد القواعد بعبارات اصطلاحية تأباها بلاغة الأساليب العربية، والتي لا تذكر من الشواهد والأمثلة إلا القليل النادر الذي أدى به السابق إلى اللاحق. [2]

ومن الأعلام الذين اهتموا بالدرس البلاغي في القرن الرابع هجري قدامة بن جعفر، الذي ألف كتاب "نقد الشعر"، حيث أضاف إلى ما ذكر ابن المعتز من أنواع البديع ثلاثة عشر نوعا فتممها ثلاثين نوعا، كما ألف أبو الحسن على بن عبد العزيز المعروف بالقاضي الجرجاني كتاب "الوساطة بين المتنبي وخصومة ".

وقد كان هدفه في كتابه الحد من الهجوم على المتنبي من جانب ناقديه واهتم في الكتاب بالاستعارة الحسنة والقبيحة ...وغيرها. [3]

ثم جاء بعده عبد الله بن المعتز الخليفة العباسي في كتابه علم البديع جمع فيه المحسنات البديعية ضاربا الأمثال من نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وكلام العرب الفصحاء كما تطور الأمر أكثر عندما ألف أبو العسكري (ت 395هـ) كتابه الصناعتين (الكتابة والشعر)، إذ بذل جهودا قيمية في وضع أسس البحث

---

[1] حميد أدم تويني: البلاغة العربية المفهوم والتطبيق ،ص 20.

[2] عبد العزيز عتيق: في تاريخ البلاغة العربية ،ص 252- 256.

[3] يوسف ابو العدوس: مدخل إلى علم البلاغة العربية، ص 15

البلاغي فيما عده الباحثون المحدثون أول مصنف أشار إلى علوم البلاغة الثلاث (علم المعاني، البيان، البديع)، كما تحدث كذلك،عن الإيجاز والإطناب....إلخ. [1]

ومن الذين اهتموا بالبلاغة في أخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس هجري القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني مؤلف كتاب المجاز القرآن الذي بين فيه جواب الإعجاز البياني في القرآن الكريم، وعرض فيه أنواع بلاغية عديدة، وألف أبو الحسن محمد بن الطاهر المعروف بالشريف الرضي كتابين تلخيص البيان عن مجازات القرآن والمجازات النبوية حيث تحدث في الثاني عن الدلالة الوضعية للفظ ثم الدلالة المجازية.

وجاء بعده أبو علي حسن بن رشيق القيرواني أحد بلغاء القيروان وشعرائها وله كتاب "العمدة" الذي يتألف من جزئين يضمان نحو مئة باب يجمع فيها كل ما وقف عليه مما كتب عن صناعة الشعر ووسائله البيانية والبديعية بالإضافة إلى الأبواب التي قصرها ما على صناعة الشعر ومحاسنه وآدابه وكل ما يمت له بصلة وقد نبغ في القرن السادس هجري جار الله محمود بن عمر الزمخشري الذي ألف كتاب تفسير أسماه الكشاف مع بعض الزيادات التي تدل علو همته، وجودت قريحته لعله أول من أشار إلى التفرقة بين علم المعاني والبيان، وإن كان لم يضع لكل حدا فاصلا، مع ما لكل منهما من موضوعات خاصة به وإلى هنا كانت البلاغة صافية النبع، عربية الترتيب والوضع. [2]

وفي القرن السابع هجري ألف يعقوب يوسف السكاكي كتاب مفتاح العلوم وهو أول من فصل موضوعات كل من علم المعاني والبيان على حدا، وجعل كثيرا من أنواع البديع التي عرفت فيما بعد تابعة لعلم المعاني، ولم يجعل علم خاصا قسما علمي المعاني والبيان إلى أن جاء بدر الدين بن مالك واختصر مفتاح للسكاكي وهو ابن صاحب الألفية المعروفة بألفية ابن مالك وقد اختصر مفتاح السكاكي وهو أول من قسم البلاغة إلى أقسامها المعروفة (البيان، المعاني، البديع). [3]

أما في القرن الثامن والتاسع هجري وما بعده أخد المؤلفون يميلون نحو الشرح والتعليق والإيضاح فقد قام الخطيب القزويني بتلخيص القسم الثالث من مفتاح العلوم [4]وقد تصرف فيه بمعنى أنه ترك ما لم يستحسنه وأبقى على ما استحسنه منه، وفي تلخيص المفتاح أو التلخيص في علوم البلاغة فهو يشمل على مقدمة في الفصاحة و

---

[1] حميد أدم توبني: البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008، ص 20.

[2] فضل حسين عباس: البلاغة فنونها وأفنانها علم المعاني، ص 79.

[3] المرجع نفسه ص 76.

[4] يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، ص17.

البلاغة ثلاث فنون علم المعاني ،علم البيان ،علم البديع ففي المقدمة عرف الفصاحة بأنها صفة في الفرد والكلام والمتكلم. والبلاغة بأنها صفة في الكلام والمتكلم فقط. [1]

خلاصة القول فيما تقدم في نشأة البلاغة، أنها مرت بمراحل مختلفة في حياتها وقد ساهم في نشأتها وتطويرها العديد من العلماء أمثال: الجاحظ والسكاكي وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم من العلماء الذين ألفوا في هذا المجال، وبالرغم من تعدد أرائهم ونظرياتهم وتنوعها تمكنوا من تحديد معالم وقواعد هذا العلم.

3- البلاغة والقرآن:

إن العرب أمة مفطورة على البلاغة، وقد رفع القرآن الكريم منزلة فوق منزلتها، ومن ثم كان العرب في بحثهم عن خصائص البلاغة العربية يبحثون عن أعز شيء لديهم، لقد التفت العرب مند أواخر القرن الهجري الأول تقريبا إلى تبيين مزية القرآن الكريم والبحث عن مصدر الروعة والخلابة في آيته، حتى تطور ذلك فيها بعد البحث في أسرار إعجازه، وإقامة الأدلة العلمية على هذا الإعجاز وتوجيه الأذهان إلى معرفة الخصائص الأسلوبية، لأنواع الكلام والمزايا التي تنفرد بها الصور الكلامية المختلفة [2] ،وهذا ما أدى إلى التنبه إلى المميزات اللفظية والمعنوية والنظر في أساليب البيان والحق أن القرآن هو أكبر وأهم مصدر عربي تنوعت فيه طرائق التعابير البلاغية وآية ذلك أن كل من تصدى للبحث والتأليف في البلاغة العربية قديما وحديثا كان يعثر فيه بالعديد من الأمثلة والشواهد لكل أصل بلاغي يكتشفه أو يهتدي إليه والرغبة لدى علماء العربية في فهم القرآن دفعهم إلى البحث في البلاغة وقد أدى هذا الاتجاه بدوره في العصور الأولى إلى ظهر العديد من الكتب التي تبحث في معاني القرآن ومشكلة مجازه ونظمه وإعجازه.

وهذا ما أدى إلى التنبيه إلى مميزات اللفظية والمعنوية والنظر في أساليب البيان والحق أن القرآن هو أكبر وأهم مصدر عربي تنوعت فيه طرائق التعابير البلاغية وآيات ذلك أن كل من تصدى للبحث والتأليف في البلاغة العربية قديما وحديثا كان يعثر فيه العديد من الأمثلة والشواهد لكل أصل بلاغي يكتشفه أو يهتدي إليه والرغبة لدى علماء العربية في فهم القرآن دفعهم إلى البحث في البلاغة وقد أدى هذا الاتجاه بدوره في العصور الأولى إلى ظهور العديد من الكتب التي تبحث في معاني القرآن ومشكلة مجازه ونظمه وإعجازه.

---

[1] عبد العزيز عتيق: في تاريخ البلاغة العربية ،ص 356.

[2] يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، ص 14.

وقد ظلت البلاغة متصلة بالقرآن على أن هذا النحو من الجدل في مجازاته ونظمه وإعجازه ومشكلته حتى جاء أحد متأدبي القرن الرابع هجري، أبا هلال العسكري فقرر أن علم البلاغة هو الوسيلة لمعرفة إعجاز القرآن.[1]

كان القرآن الكريم أساسا لدراسة العلوم العربية، لغة ونحوا وبلاغة ونقد فقد شغل العرب به مند أن هبط به الوحي، واستمع إليه الناس وبعد أن قامت الفتوحات الإسلامية، وانتشر الإسلام ودخل فيه جمع من الأعاجم المختلفة تعرض القرآن لجملة من التشكيك والهجوم وكان من أهم ما تعرض له القرآن قديما أن أسلوبه لا يجري على النمط المألوف من نمط العرب بل هو مغاير لكلامهم. [2]

يرى معظم الباحثين وأهل النظر أن سبب الإعجاز إنما يرجع إلى ما فيه من بلاغة ساحرة، وأسلوب فريد وتأثير عميق، ولكنهم لم يوضح أسباب هذه البلاغة إنما اكتفوا بالقول: إن بلاغة القرآن أمر يدرك ولا يعلل، يحس ولا يوصف، شيء كالنغم يسري إلى النفس ويستقر في أعماقها دون أن تكون لدينا القدرة على تحديده وإيضاحه، فهؤلاء الذين خاطبهم القرآن كانوا لا يعجبون قدر إعجابهم بحس البيان والبلاغة القول وقد رأوا في القرآن نوعا من البيان لم يعرفوه، وانجذبوا إليه واعترفوا بتأثيره وخروا صاغرين أمام بلاغته وحلاوته وكل كلمة من كلمات القرآن لها وقعها الخاص في نفوس المستمعين وكل عبارة تجتمع من كلمات لها صورة رائعة تصور معاني كالصورة الكاملة في تصويرها وأجزاؤها تعطي صورا و ضلالا تكون هذه الجزئية لوحة كاملة متناسقة تتسلل إلى المشاعر وتهز الوجدان وتترك في القلوب أثر عميق.[3]

وقد تضمن القرآن أنواع البلاغة المعروفة: كالاستعارة والمجاز وغيرها، فضلا عن أنواع البديع الكثيرة، فإن ذلك يخرج الكلام مخرج التأليف وبناء القول على هذه الفنون نفسها.[4]

فإنما هي جملة ما في طبيعة هذه البلاغة مما يمكن أن يقلب عليه الكلام في وجود سياستين البيانية والمنطقية، بحيث لا يوجد في كلام عربي نوع من ذلك وقد خلا هو منه إلا أن يكون من باب الصنعة والتكلف الذي يتلوم الأدباء على صنعه، فهم يقولون إن كل ذلك فنون من البلاغة وقع بها الإعجاز لأنه اصطلحوا على هذه التسمية التي حدثت بعد العرب ولو قالوا إن القرآن معجز في العربية لأن الفطرية والعقل لا مبلغه في سياستي البيان والمنطق

---

[1] عبد العزيز عتيق– في تاريخ البلاغة العربية، ص 15

[2] عبد القادر حسين: المختصر في تاريخ البلاغة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مصر(د.ط) (د. س)، ص 20.

[3] المرجع نفسه، ص 22.

[4] مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مختار للنشر والتوزيع: القاهرة، مصر،ط1، 2003، ص 201.

بهذه اللغة لكان أصوب في الحقيقة، وأبلغ في حقيقة الصواب، وأمكن في معنى الإعجاز، وأتم في هذا الباب كله ما دام في لسان الدهر حرف من العربية [1] ويعتبر القرآن على تلك الوجوه أعلى من البلاغة التي وضعت لها تلك الفنون هذا بيان اللسان.[2]

حيث كان لتفسير القرآن فضل كبير في بناء صرح البلاغة إذ يعد الفراء من الأوائل الذين تحدثوا عن بلاغة القرآن وإعجازه وذلك من خلال كتابه معاني القرآن والذي يعد من أهم الكتب المعتمدة في التفسير القرآني إذا اعتمد في تفسيره على ما أشكل فقط متبعا الترتيب التنازلي في القرآن، كما تطرق من خلال تفسيره إلى كثير من المباحث البلاغية التي تدخل في صميم علوم البلاغة.[3]

كما كان للجاحظ كتاب نظم القرآن الذي تحدث فيه نظم غريب القرآن وما في تأليفه من تركيب بديع إلا إن هذا الكتاب لم يصل إلينا، وقد أثنى عليه العلماء كثيرا ووصفوا الكتاب بأنه لم يعمل مثله في هذا الفن، ولو وصل إلينا لعرفنا رأيه تفصيلا في قضية الإعجاز بحيث يرى أن القرآن معجز بنظمه وقد تحداهم بهذا النظم المعجز. [4]

أما البقلاني في كتابه إعجاز القرآن فقد رفض فكرة البديع باعتباره أساسا لبلاغة القرآن، فهو لا يعتبر البديع سبيلا لإثبات الإعجاز، بحيث يبين أن نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم ويتقدم في بلاغته على كل قول بما يتضح به الأمر اتضاح الشمس ويبين به بيان الصبح [5] ، وتصل البلاغة ذروتها على يد الإمام عبد القاهر الجرجاني في كنف إعجاز القرآن من خلال كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، فتنظر فيهما إلى بلاغة من خلال الكشف عن فكرة الإعجاز فنرى أن إعجاز القرآن والتعليل له هو الغرض الذي أملى الجرجاني تأليفه، كما كان لتفسير القرآن فضل كبير في بناء البلاغة وهكذا نشأت البلاغة وترعرعت تحت راية القرآن والبحث في إعجازه، وهذا البحث هو الذي وصل به إلى أن تصبح علما مستقلا يحضى بالتأليف، بل ضلت البلاغة بعد نضجها واستقلالها أيضا عالقة بفكرة إعجاز القرآن. [6]

---

[1] المرجع السابق،ص 202.

[2] المرجع نفسه، ص203.

[3] عبد القادر حسين: المختصر في تاريخ البلاغة، ص 25.

[4] مازن مبارك: الموجز في تاريخ البلاغة، ص 42.

[5] أبي بكر محمد الخطيب الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر،(د.ط)، (د.ت) ،ص 237.

[6] مازن مبارك: الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر للنشر والتوزيع قطر، (د.ط،)، (د.س)، ص 46- 48.

نلاحظ من كل ما سبق ذكره نجد أن سبب الإعجاز إنما يرجع إلى ما فيه من بلاغة ساحرة وأسلوب فريد وتأثير عميق، فهي عندهم أمر يدرك ولا يعلل يحس ولا يوصف، شيء كالنغم يسري إلى النفس ويستقر في أعماقها.

و تعتبر البلاغة بوابة العلوم العربية والفقهية فمن لم يعرف البلاغة أعرج في مسيرته في علوم العربية فمن المعروف لدى دارسي البلاغة العربية يعود إلى وسائل ينبغي أن يمتلكوها من خلالها فهم النص القرآني في إعجازه والحديث النبوي في بلاغته.[1]

ومن خلال ما سبق ذكره نلاحظ أن كل ما كتبه القدامى كالإمام الرازي وغيره، والمتقدمون في علوم البلاغة وإعجاز القرآني كالفراء والبقلاني والجرجاني وغيرهم فقد اعتبروا القرآن علم البلاغة ثم صار بعدهم بلاغة هذا العلم، بيد أنه لا يفوتنا التنبيه على أن كل ما أحصاه هذا العلم من أنواع البلاغة في القرآن الكريم. بحيث اكتسبت البلاغة منزلة رفيعة بين العلوم الإسلامية لارتباطها بكتاب الله العزيز، توضيحا وتفسيرا وبيانا وإعجازا. ومع هذه المكانة العظيمة للبلاغة، فإن مباحث البلاغة قد أصبحت دعامة أساسية من دعائم النقد الأدبي الفني، ذلك أن العلماء جعلوا هذه المباحث معينا لهم على تحليل النصوص الأدبية، والكشف عن مواطن القبح والجمال فيها، وذلك انطلاقا من كشفها عن مواطن الإعجاز في القرآن الكريم، وهي الأداة التي استطاعت أن تشير إلى بعض مناحي الإعجاز القرآني.

4- أمهات الكتب في البلاغة العربية:

1- البيان والتبيين: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ*:يعد البيان والتبيين واحد من أبرز كتب البلاغة العربية في طور نشأتها، إذ ألفه الجاحظ في شتى فنون المعرفة، وهو عبارة عن مختارات من الأدب والحكمة والخطابة والقرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة والشعر، مزجها الجاحظ بآراء ومسائل في البيان واللغة.[2]

---

[1] محمد بركات حمدي أبو علي: كيف نقرأ تراثنا البلاغي، دار وائل للنشر ، عمان، الأردن، ط1، 1999- 2000، ص 33.

* هو عمرو بن بحرين محبوب الكنائي أبو عثنان، الشهير بالجاحظ كبير أئمة الأدب ورئيس الفرقة الجاحظية مولده ووفاته بالبصرة، أهم مؤلفاته: الحيوان، البيان والتبيين وتفي سنة 255هـ – 869م.

[2] يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، ص 31.

إن للكتاب موضوعا رئيسيا يسيطر عليه إلى حد كبير وهو الذي يوجد الكتاب إلى اختيار مختاراته وإن كثرت المختارات بحيث تجعل البحث في الموضوع الرئيسي مشتت، وهذا الموضوع الرئيسي استنباط أصول البيان، كما تحدث فيها السابقون وكما مارسها عمليا علماء الكلام.[1]

وهكذا تجري مادة الكتاب الأساسية حول الفصاحة والبلاغة والخطابة العربية وكان الجاحظ يمتلك منها رصيدا كبير وقد أفاض في الحديث عنها موجها عناية خاصة لفن القول والأداء والخطابة لكونها عنوان الفصاحة والبلاغة وأداة الجدل وعلم الكلام في ذلك العصر.[2]

أما محتوى الكتاب: تحدث فيه عن فصاحة اللسان، ثم انتقل بعد إلى بعض الاستطراد والحديث عن اختلاف لغة العرب في استعمال الألفاظ حتى إذا اقترب من الخطابة تحدث عن عيوب اللسان مشيرا في ذلك إلى أشهر الخطب والخطباء، ثم ينتقل بعد ذلك إلى البلاغة فيتحدث عن البلاغة في الشعر وفي اللسان، وفي الصمت وفي الكلام المسجوع مقدما نماذج كثيرة من الحديث الشريف والخطب والحكم والألغاز، ثم يتهيأ للدفاع عن فصاحة العرب ضد اتهامات الشعوبية وذلك في كتاب العصا ثم يتكلم عن الزهد وعن النساك وعن كلامهم ومواعظهم. كما تحدث عن نوادر الحمقى والنوكى والمجانين.

فقد بنى كتابه على خطة تدرس الموضوع دراسة متسلسلة منطقية، بحيث يبدو متكاملا عندما يصل الكاتب إلى نهايته، فهذا أسلوب لم يكن كبار الأدباء في ذلك العصر قد عرفوه بعد، بل كانت تتحكم فيه طريقة السرد الاستطرادي الذي يدعو إلى تشعب الموضوع.[3]

بحيث وفق الجاحظ كتابه على الأدب الشفاهي بألوانه المتعددة، وإذا عرض لغيره ففي مقام الاستدلال والمقارنة، ولم يقتصر بحثه على الأدب وحده وإنما تعداه إلى الأديب نفسه فدرسه تشريحا وثقافة وتاريخ. [4]

ويعتبر هذا الكتاب أعظم الكتب على الإطلاق نظرا لدوره الواضح في تشكيل الوعي البلاغي في العقل العربي ولأثره الواضح في مؤلفات البلاغيين القدماء والمحدثين وبالنظر في هذا الكتاب يتضح لنا أن مادته لا تخرج عن ثلاثة محاور هي: وظيفة البيان وقيمته، العملية البيانية وأدواتها، البيان العربي.[5]

---

[1] عز الدين إسماعيل: مصادر اللغوية الأدبية في التراث العربي، مكتبة غريب للطباعة القاهرة،مصر، (د. ط) (د.س)،ص139،137

[2] عبد اللطيف صوفي: مصادر الأدب في المكتبة العربية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر (د.ط) (د. س) ص 75- 76.

[3] عز الدين إسماعيل: المصادر اللغوية والأدبية في التراث العربي ص 140

[4] الطاهر أحمد مكي: دراسة في مصادر الأدب، دار الفكر العربي مصر، ط8، 1999م، ص 182.

[5] محمد ابو شوارب أحمد: مدخل إلى دراسة البلاغة العربية، دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر الاسكندرية مصر، ط1، 2007، ص 17.

أما مصادر الكتاب فيعد هذا الكتاب مستودعا للثقافة الأدبية العربية، قلما خالط شيء من الثقافة الأجنبية إذا كان الجاحظ قد أفاد في كتابه السابق من كتاب الحيوان لأرسطو فإن كتاب هذا الأخير في الخطابة لم يكن معروفا عند العرب أنداك أو على الأقل لم يكن منقولا إلى العربية كما يبدوا حتى يفيد الجاحظ منه كما أن كتاب الشعر لأرسطو لم يترجم إلى العربية إلا بعد حين، ويعود السبب في ذلك أن العرب لم يشعروا أول الأمر بحاجة ماسة إلى ترجمة هذين الكتابين لأن ما بين أيديهم من مواد الشعر والنثر وبلاغة القول كان جديرا بأن يبعث فيهم الاعتداد أو الاكتفاء بما عندهم على الأقل.[1]

بعد هذا يمكن القول أن مصادر الكتاب الأساسية تتجلى في القرآن الكريم والحديث الشريف والتراث العربي من شعر ونثر وخطابة وأقوال مأثورة ووصايا وحكم وطرائف وأخبار ونقله عن أساتذتهم في هذا الميدان كالأصمعي والأنصاري وغيرهم.

أما تاريخ تأليفه وطباعته: فقد ألف الجاحظ كتابه في أخريات حياته حين علت به السنن وأخذ منه المرض كل ما أخذ إلى أنه في هذه الفترة أواخر حياته كان قد ازداد علمه وأصبح معلم من الطراز الأول.[2] وقد بدأ في تأليف هذا الكتاب بعد أن فرغ من تأليف الحيوان، ويتبين أن نسخة مكتبة كوبريلي هي أصح نسخة . المحقق عبد السلام هارون ثلاث نسخ مخطوطة عن الكتاب، أولها نسخة المكتبة السابقة، والمحفوظة في دار الكتب المصرية وتقع في أربعة مجلدات، والثانية نسخة دار الكتب المصرية، تقع في مجلد واحد، أما النسخة الثالثة هي نسخة أخرى من نسخ دار الكتب المصرية، تقع في مجلد واحد.[3] حيث نشر لأول مرة سنتي 1311- 1313هـ بعناية حسن الفاكهاني والشيخ محمد الزهري العمراوي، ثم نشر بعد ذلك في ثلاثة مجلدات سنة 1332هـ بإشراف محي الدين الخطيب ثم نشر المرة الثالثة الذي أخرجها حسن السندوبي عام 1345هـ، وتقع في ثلاث مجلدات.[4]

وأخيرا يمكن القول: إن كتاب البيان والتبيين يحتوي على نصوص أدبية شعرية، قلما نعثر عليها في مصادر أخرى، ويضم الكتاب مجموعة من الآراء النقدية والبلاغية للجاحظ، وهو يحتوي بذور بعض النظريات في البيان والبلاغة والنقد وغيرها.

---

[1] عبد الطيف صوفي: مصادر الأدب في المكتبة العربية، 78، 79.

[2] المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه ص80.

[4] المصدر السابق ص81.

كما يعد كتاب البيان والتبيين موسوعة في الأدب العربي تغذي بثمارها القدماء والمحدثون، فقد اعتمد عليه كبار الكتاب القدماء، كما أنه رسم طريق لمن جاء بعده في أسلوب التأليف الأدبي الذي هو جمع من كل شيء، أما حديثا فليس هناك باحث في أي جانب من جوانب الثراث العربي لم يستعن بهذا الكتاب وكذلك على ما يحتوي من ثروة هائلة ومتنوعة من التراث العربي.

2- مفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي:

مؤلف هذا الكتاب هو سراج الدين أبي يعقوب السكاكي*، وقد تحدث فيه عن علم الصرف، وعلم النحو وعلم المنطق، وعلم العروض، وجمع القسم الثالث خلاصة ما كتبه العلماء قبله في علوم البلاغة [1] ، حيث انطلق في مفتاحه من باب علم المعاني من مسلمة إنقسام الكلام العربي إلى قسمين الخبرو الطلب.[2]

وقد قسم كتابه إلى ثلاثة أقسام رئيسية خص في القسم الأول بعلم الصرف أما القسم الثاني فتناول علم النحو أما القسم الثالث فتناول فيه علمي المعاني والبيان ،[3] وقد أعطى للبلاغة صيغة شبه نهائية عكف عليها العلماء من بعده بالشرح والتلخيص وقد أصبحت البلاغة عند السكاكي منضبطة في قوانين وقواعد ذات قوالب منطقية، كما تميزت بالإحاطة الكاملة للأقسام والفروع، فغدت قواعد كقواعد النحو وتجردت من التحليلات الفنية الذوقية ومالت للمعيارية المجردة.

فتحدث أولا عن علم المعاني فعرفه كما يلي:" تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره".

كما بحث في الطلب والخبر والإسناد وبيان أحوال المسند والمسند إليه والتقديم والتأخير، والحذف والذكر والتنكير والتعريف، الفصل والوصول والإيجاز والإطناب والقصر.[4] كما تحدث عن علم البيان وعرفه بقوله:" إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة للزيادة في وضوح الدلالة عليه"، ويشمل التشبيه، المجاز، الكناية، وتميزت ألوان البديع لديه واستقلال مباحثها، وجعلها قسمين:

---

* هو يوسف بن أبو بكر محمد، أبو يعقوب السكاكي ولد سنة 545هـ، من أهل الخوارزم علامة وإمام في العربية والمعاني والبيان والأدب والعروض والشعر، فقيه في علوم شتى، من أهم مؤلفاته: مفتاح العلوم، توفي سنة 626هـ.

[1] يوسف أبو العدوس: البلاغة والأسلوبية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1999م، ص 37.

[2] حافظ اسماعيل علوي: التداوليات، علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد. الأردن، ط1، 2001، ص 172.

[3] أبي يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم،دار الكتب العلمية،بيروت،لبنان،ط1، 1983،ص7،8

[4] عبد القادر حسين: المختصر في تاريخ البلاغة ،ص 274.

- قسم يعود إلى المعنى كالطباق والمقابلة والمشاكلة ومراعاة النظير.
- قسم يرجع إلى اللفظ كالتجنس والسجع والترصيع.[1]

فمن خلال ما سبق نخلص إلى أن كتاب مفتاح العلوم هو كتاب مدقق حامل لفروع علم اللغة يتميز صاحبه بدقة متناهية حول فهم موضوعها إذ تميز بأسلوب فريد مغاير عن بقية معاصريه، بحيث يمنح للباحثين جميع المطالب العلمية.

3- منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني:

مؤلف الكتاب هو حازم القرطاجني* الذي يعتبر كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء علامة فارقة في تاريخ البلاغة العربية بصفة عامة، وتاريخ نظرية الشعر على نحو أخص، وترجع أهمية الإسهام النقدي والبلاغي لحازم إلى الوعي العميق الذي تكون لديه بضرورة استئناف القول في البلاغة العربية بطريقة جديدة ومختلفة، ومن أجل التأسيس لنظر بلاغي غير مألوف.[2] إن المهمة الأساسية التي انتدب لها القرطاجني هي التأصيل لعلم الشعر من أجل الكشف عن جوهر الشعر العربي عن طريق وضع قوانين كلية تعرف بها أحوال الجزئيات، وهو أمر لا يتحقق إلا بتأصيل منهج جديد في البحث ليستكمل ما ورد عند الأوائل من قوانين ويتجاوزها بما يستجيب لخصوصيات الشعر العربي، وفي الوقت الذي سعى فيه القرطاجني إلى تقديم مراجعة نقدية شاملة لشعرية أرسطو وبلاغته، يواجه اختلاف الشعرية العربية عن الشعرية اليونانية اختلافا جذريا وعلى الرغم من ذلك فإنه يقوم في مناهجه بمراجعة شاملة لهذه الشعرية، حيث خضعت في ثنايا كتابه لتعديلات.[3]

إن علم الشعر الذي يطمح القرطاجني إلى إقامته، جزء من علم كلي هو صناعة البلاغة بوصفها علما لسانيا كليا، يندرج ضمن كلياته علوم اللسان الجزئية، ويحتوي صناعة الشعر والخطابة، وعلى هذا الأساس يميز بين البلاغة بوصفها علما لسانيا كليا، يهتم بجانب القيمة التي يتوصل بها إلى معرفة الأحوال التي تقوم بها صناعة

---

[1] المرجع السابق، ص 276- 277.

* هو حازم بن محمد بن حسن، ابن حازم القرطاجني، أبو الحسن: أديب من العلماء له شعر من أهل قرطاجنة ولد بها سنة (608- 1211م)، من أشهر مؤلفاته: سراج البلغاء، المقصورة توفي سنة (684هـ - 1285م).

[2] حافظ اسماعيل علوي: وآخرون ، التداوليات وتحليل الخطاب، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان الأردن،ط 1، 2014، ص 423.

[3] ينظر: أبي الحسن حازم القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، ط2، 2008، ص 100- 101.

الشعر على مستوى إبداعه وتلقيه، وعلوم اللغة التي تقوم على الرواية، وتهتم بجانب الصحة اللغوية، ومثلما ميز علم الشعر عن علم اللغة ميزه كذلك عن علم الكلام وعلم المنطق.[1]

يعتبر القرطاجني التخييل خصوصية جوهرية في الأقاويل الشعرية، لأن مجال الشعر هو الكلام المخيل، أي الكلام الذي ينفعل له المتلقي.

على الرغم من أن القرطاجني يوجه كتابه المنهاج نحو بلاغة الشعر تخصيصا حتى صنف الكتاب خلافا لعنوانه، ضمن كتب نقد الشعر، فمن بين القضايا النقدية التي تفتح بلاغته على المجال التداولي ما يلي:

- الحاحه على وظيفية النص الشعري، بالنظر إلى مقاصد منجزه.
- إهتمامه بالمقام التواصلي، الذي يدخل في سياق التبليغ الخطابي.
- انشغاله بقضية التداخل بين الخطابات من خلال المقارنة بين التخييل والتصديق.
- عنايته بالغرض بوصفه معيارا موجها في قراءة النص الشعري.[2]

فمن خلال هذا نجد أن القرطاجني اهتم بتداولية النص الشعري الذي يساعد على فهم العلاقات التي تربط الشاعر كمرسل، والقارئ كمتلقي والنص الشعري كرسالة.

كما عنى القرطاجني بالبحث عن المعاني وليس المقصود بالمعاني عند حازم العلم الذي تعرف به أحوال اللفظ العربي، الذي يطابق به بمقتضي الحال، إذا تطرق كذلك إلى اجتلاب المعاني وكيفية التئامها، وما يعتبر به أحوالها ويتحدث عن أغراض الشعر، ويفصل التأثرات والانفعالات الخاصة في القول الشعري ويذكر خصائص الشعر العربي وموضوعاته وما يتعلق به من أبيات وأعاريض وأوتاد ودوائر وأوزان، كما تطرق كذلك إلى تأليف القصيد ودراسة الأسلوب والطرق الشعرية ومأخذ الشعراء في كل لون من ألوان النظم بحسب ما يقتضيه أحوال الكلام فيه.[3]

---

[1] حافظ إسماعيل علوي: منتصر أمين عبد الرحيم، التداوليات وتحليل الخطاب، ص 436.

[2] ينظر مرجع سابق، ص 456.

[3] ينظر: أبي الحسن حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص 95- 105.

* هو أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني ولد في مطلع القرن 5هـ ، وهو من أصل فارسي وهو من أصل جرجان الواقعة قرب بحر الخزر، ولهذا نسب إلى جرجان، فقيل الجرجاني، من أهم مؤلفاته: دلائل الإعجاز. وأسرار البلاغة توفي سنة 471 هـ وقيل 474هـ ، ينظر عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط1- 2001م. ص 2.ومازن مبارك: الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر للنشر والتوزيع ، (د.ط).(د. س).

وختام القول نحد أن المنجز البلاغي للقرطاجني وبالرغم من طابعه التجديدي فإنه يضرب بجدوره العميقة في التراث العربي من خلال مصنفات سابقيه.

4- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني:

مؤلف هذا الكتاب هو عبد القاهر الجرجاني* الذي استهدف البحث في الدلائل والخصائص الموضوعية التي تكشف عن الإعجاز القرآني.[1]

حيث تناول هذا الكتاب موضوعات كثيرة: بيان الحاجة إلى علم النحو، وفضل علم البيان كقوله " واعلم أن الذي يوجبه ظاهر الأمر وما يسبق إليه الفكر، أن نبدأ بجملة من القول في الحقيقة والمجاز، وتتبع ذلك لأن المجاز أعم من الاستعارة وذلك هو المنهاج الذي جمع فيه لأول مرة مباحث علم البيان بعضها إلى بعض، ورتبها من حيث الكلام عنها ترتيبا منطقيا منظما، يبدأ فيه بالعام قبل الخاص،وبالأصل يتلوه الفرع مع العناية بتوضيح ما بين التشبيه والتمثيل من فروق باستقصاء القول في الاستعارة، كما تطرق كذلك إلى القضايا البلاغية، أما الجوانب التي عرض لها في كل مبحث من مباحث علم البيان ،لبيان أهميتها والدلالة بها على عقلية عبد القاهر التي تتنحو منحى الابتكار والإبداع. والمتمثل في الاستعارة ،المجاز،التشبيه و الكناية.[2]

أما مباحث المعاني التي عرض لها عبد القادر على نحو استحق به أيضا أن يعد المؤسس الأول لعلم المعاني أكثر ما يرتبط بكتابه " دلائل الإعجاز "الذي أراد به أن يثبت إعجاز القرآن، كما يفهم من عنوانه إثبات الإعجاز كما يتصوره ،بدأ بحثه في دلائل الإعجاز، بنقد نظريتين قديمتين: نظرية القائلين بأن بلاغة الكلام في اللفظ، ونظرية القائلين بأن بلاغته في المعنى، ثم نراه ينتهي في هذا البحث إلى نظريته الخاصة القائلة بأن بلاغة الكلام ليست في اللفظ ولا في المعنى، وإنما هي في اللفظ والمعنى معا، وإنما في نظم الكلام، أي في الأسلوب،

* هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني ولد في مطلع القرن 5هـ ، وهو من أصل فارسي وهو من أصل جرجان الواقعة قرب بحر الخزر، ولهذا نسب إلى جرجان، فقيل الجرجاني، من أهم مؤلفاته: دلائل الإعجاز. وأسرار البلاغة توفي سنة 471 هـ وقيل 474هـ ، ينظر عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، دار الكتب العلمية- بيروت، لبنان، ط1- 2001م. ص 2.ومازن مبارك: الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر للنشر والتوزيع ، (د.ط).(د. س).

[1] يوسف أبو العدوس: البلاغة والأسلوبية، ص 34.

[2] عبد العزيز عتيق: في تاريخ البلاغة العربية، ص 249.

ولإيمانه بأن مزية النظم إنما تكون بمراعاة قواعد النحو، فهو يعرض بالكلام لأهمية حروف العطف، وللتقديم والتأخير، وأوجهه وأسبابه. [1]

أما الطريقة التي سار عليها في تأليفه لكتاب دلائل الإعجاز وامتاز بها على كتب البلاغة الأخرى، فهي طريقة تجمع بين العلم والعمل الذي يثبت به العلم هذا الأخير يتمثل في القواعد الكلية، أما العمل فيتمثل على الشواهد والأمثلة. [2]

إذ نجده أول من نظم الأفكار التي كانت في هذا الموضوع وأبرزها في قالب علمي وكتابه دلائل الإعجاز دليل على أن البلاغة في شكلها العلمي ظهرت من فكرة إعجاز القرآن، ويرى بأنه لا يستطيع أحد أن يعرف إعجاز القرآن حتى يحسن تمييز أنواع النظم المختلفة ويحسن فهمها.[3] ويرجع الجرجاني أن مرد الإعجاز ليس في معانيه فحسب، لأن المعاني لا تتصور من غير الألفاظ وإنما السبيل الذي يمكن فهم الإعجاز هو فكرة النظم التي يمكن أن تتسع لكل ما سبق، وهي تقوم على تعلق الكلم بعضه ببعض، ومن خلال إدراك هذه العلاقات تتكشف المعاني الإضافية فضلا عن المعنى الأصلي.[4]

ومن كل ما سبق نرى أن كتاب دلائل يعد من روائع الأدب العربي من حيث هو كتاب متميز، لم يصنف مثله في علوم البلاغة، وهو كتاب بديع في بابه تفرد فيه صاحب بتأسيس نظرية النظم التي هي عمود الدراسات البلاغية والتي لولا ما رسمه لها واختطته فيها من علامات هادية السبيل لظلت خطى الناس من بعده في هذا العلم الضلال المبين.

وهذا الأخير الذي سيكون محور بحثنا هذا فيمثل الجانب التطبيقي لهذه الدراسة ككل.

---

[1] المرجع السابق، ص 252.

[2] المرجع السابق، ص 252.

[3] عمار ساسي: المدخل إلى علم النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إ ربد، الأردن، ط1، 2007، ص 118.

[4] يوسف أبو العدوس: البلاغة والأسلوبية، ص 24.

الفصل الأول:

في ماهية التداولية والمصطلح

المبحث الأول: في ماهية التداولية والمصطلح

1–مفهوم التداولية: إن تقديم تعرف للتداولية يلم بجميع جوانبها، ويشملها أمر من الصعوبة بمكان ذلك أنها مبحث لساني، ونظرية لم يكتمل بناؤها بعد هذا ومن جهة أخرى تتقاذفها مصادر معرفية عديدة، إذ لكل مبدأ من مبادئ التداولية مصدرا ينبثق منه، كما أنها تتداخل مع كثير من العلوم الأخرى مما جعل كل باحث ينطلق في تعريفها من مجال تخصصه، ولذلك نكتفي بأهم تعريفاتها.

أ–لغة: يرجع مصطلح التداولية إلى مادة داول، وقد وردت في مقاييس اللغة على أصلين: أحدهما يدل على تحويل شيء من مكان إلى آخر، والآخر يدل على ضعف واسترخاء فقال أهل اللغة، أندال القوم، إذا تحولوا من مكان إلى مكان لآخر، ومن هذا الباب تداول القوم الشيء بينهم، إذا صار من بعضهم إلى بعض والدولة لغتان، ويقال الدولة في مال والدولة في الحرب وإنما سمي بذلك من قياس الباب، لأنه أمر يتداولونه فيتحول من هذا إلى ذاك ومن ذاك إلى هذا [1]

– وجاء في تعريف آخر في حديث الدعاء: حدثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يتداوله بينك وبينه الرجال أي لم يتناقله الرجال وترويه واحد، عن واحد، وإنما ترويه أنت عن رسول الله صل الله عليه وسلم.

– تداولنا الأمر أخذناه بالدول [2]

– ومن خلال ما تقدم من التعريفات اللغوية للتداولية اتضح لنا بأن العلماء اتفقوا على تعريف واحد وهو: أن التداولية جاءت من مادة دول بمعنى تداول القوم الشيء بينهم، إذا صار من بعضهم بعضا.

ب/تعريفها اصطلاحا:

– تأسس المفهوم العامPragmatique) في الدرس اللساني الغربي الحديث، وهو دراسة اللغة حال الاستعمال، أي حينما تكون متداولة بين مستخدميها، فقد اختار طه عبد الرحمان مصطلح التداوليات مقابلا(pragmatique، يقول وقد وقع اختيارنا منذ 1970على مصطلح التداوليات مقابلا للمصطلح الغربي

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة العربية: تحقيق عبد السلام محمد هارون –هارون– دار الجيل . ط2: 1991، مادة دول، ج2، ص 314.
(2) ابن منظور ، لسان العرب: تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون – دار المعارف– د.ط، (د. س) ج 17، ص 145.

براغماتيقا، لأنه يوفي المطلوب حقه باعتبار دلالته على معنيين، الاستعمال والتفاعل معا، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في بحوثهم [1]

وتعرف كذلك على أنها لفظ يحيل على مكون من مكونات اللغة إلى الجانب الدلالي والتركيبي، وهذا المكون الدلالي انبثق عن التقسيم الثلاثي المدشن من قبل الفيلسوف الأمريكي ش. موريس في 1938م، الذي ميز مجالات ثلاث في الإحاطة بأية لغة [2]

وتعرف أيضا، بناءا على مجال اهتمام الباحث نفسه، فقد يقتصر الباحث على دراسة المعنى، وليس المعنى بمفهومه الدلالي البحث بل المعنى في سياق التواصل مما يسوغ معه تسمية المعنى بمعنى المتكلم، فيعرفها على أنها دراسة المعنى التواصلي، أو معنى المرسل، في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه بدرجة تتجاوز معنى ما قاله [3]

وجاءت في تعريف آخر التداولية ليست علما لغويا محضا، بالمعنى التقليدي علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج، من ثم، مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره. وعليه، فإن الحديث عن التداولية، وعن شبكتها المفاهيمية يقتضي للإشارة إلى العلاقات القائمة بينها وبين الحقول المختلفة لأنها تشي بانتمائها إلى حقول مفاهيمية تضم مستويات متداخلة، كالبنية اللغوية، وقواعد التخاطب والاستدلالات التداولية، والعمليات الذهنية المتحكمة في الإنتاج وفهم اللغويين، وعلاقة البنية اللغوية بظروف الاستعمال [4]...إلخ.

فالتداولية إذا حلقة وصل هامة بين حقول معرفية عديدة، منها الفلسفة التحليلية، ممثلة في فلسفة اللغة العادية، ومنها علم النفس المعرفي ممثلا في نظرية اللائمة، ومنها علوم التواصل، ومنها اللسانيات بطبيعة الحال. [5]

---

[1] طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط2، 2000م، ص 27.

[2] دومنيك مانغو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2008، ص 100- 101.

[3] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ، مقارنة لغوية تداوليه ، دار الكتب الجديدة المتحدة بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 21-22.

[4] حافظ إسماعيل علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2001، ص 32.

[5] مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة أفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيرووت لبنان، ط1، 2005. ص 16.

وعلى الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول مفهوم التداولية وتساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية وتشكيكهم جدواها.

فإن معظمهم يقر بأن قضية التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وبهذا نتوصل بأن نقول بأنها نسق معرفي استدلالي عام يعالج الملفوظات ضمن سياقتها التلفظية، والخطابات ضمن أحوالها التخاطبية.

2- نشأتها وتطورها:

- إن التداولية مقاربة وجدت لبدايتها منشأ في حضن الفلسفة اللغة العادية، هذا التيار الفلسفي الذي نشأ مع رواد الفلسفة والمنطق أمثال فريج، وراسل وفيتجنشتاين وستراوسن هؤلاء وغيرهم كارناب وبارهيلل، الذين حاولوا التمهيد لتداوليات نظرية انطلاقا من فكرة المعارف والعلاقات الاجتماعية، حاولوا بناء نموذج يعتمد في دراسته أولا على شروط صدق التعابير المرتبطة بالمقام، نحو بناء نظرية عامة للفعل = action أبرز معالمها بوضوح أو ستين وسورل كما أمكن للتداوليات أن تجد بوادر قيامها في تأملات بعض الباحثين الذين اهتموا بأثر الخطاب في المتاخطبين، ومن هؤلاء الباحثين سوسيولوجيون ومحللين نفسيون، ومتخصصون في البلاغة ولسانيو تحليل الخطاب أمثال: أنسكومبر وبيرلمان، وديكرو وأوركيوني.

لقد أصبح الاهتمام بالتداولية متزايدا يطور في كل لحظة اهتماما معينا تتحدد التداوليات وفقه، حيث كانت التحليلات التداولية تعتمد تارة على بنيات تحتية سيكولوجية وتارة على تمفصلات ذواتية اجتماعية. [1]

باعتبارها توجها لسانيا في محاولة جادة لوضع اليد على الأبعاد الحاضرة الغائبة في الخطاب الأدبي، بحكم أنها تطوير للوظيفة، لسد النقص الذي كثيرا ما شاب التيارات اللسانية السابقة، نسجل في الوقت نفسه، من باب الإنصاف، قيمة ما قدمه رواد التداولية، على تعدد توجهاتها وأهدافها في دراسة الخطاب عموما، لاسيما ظهر في كتاب: "تداولية من أجل الخطاب الأدبي"، من تسيطر تداولية، لها بعض الخصوصيات، تتماشى مع خصوصيات الخطاب الأدبي، إلا أننا من باب الإنصاف أيضا، ومن قبيل عدم التنكر للذات، نشير إلى أن جل

[1] حافظ اسماعيلي: تداوليات علم استعمال اللغة، ص 17.

مبادئ التداولية الحديثة حاضر في تراثنا العربي، ولو بمصطلحات مغايرة أحيانا أو غير منضبطة أحيانا أخرى، وذلك من بداية طلائع الدرس اللغوي مع سبويه، وصولا إلى النقاد والبلاغيين المتأخرين. [1]

كما يشمل امتداد التداولية ومشاغلها دراسة المفاهيم الأساسية كـ: حكم الحديث والافتراض المسبق والتفاعل، كما يرى غرايس بأنه من المفروض أن يحترم كل متكلم مبادئ الحديث ومن ثم تطبيقها ما وجد إلى ذلك سبيلا. وهذا الوجه يتيح فسحة من التسامح، غير أن بعض اللسانيين يروا بأن هذا الحكم غير قادر على تفسير كل شيء، لاسيما وأن الأطراف لا يتوفرون على نفس الحاجات التبليغية وفضلا عن هذا فإنهم سيستخدمون أشكالا لغوية مختلفة أو قليلة التجانس. [2]

أما في رأي تشارلز موريس أن التداولية هي العلاقات بين العلامات ومستخدميها والذي استقر في ذهنه أن التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلم والخطاب وطرفي الزمان والمكان والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيا خارج اللغة نفسها أي المقام الذي يجري فيه التواصل.

عند ما ألقى جون أوستين " محاضرات وليام جيمس" عام 1955م لم يكن يفكر في تأسيس اختصاص فرعي للسانيات فلقد كان هدفه تأسيس اختصاص فلسفة اللغة، ونجح في ذلك بيد أن محاضرات وليام جايمس ستكون كذلك بوتقة التداولية اللسانية.

انطلق أوستين من ملاحظة بسيطة فادها أن الكثير من الجمل التي ليست استفهامية أو تعجبية أو أمرية لا تصف مع ذلك أي شيء ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب، والفعل لا تستعمل هذه الجمل لوصف الواقع بل لتغييره.

فقد فكر أوستين من قبل "أمرك بالصمت" أو أعمك باسم الأب والابن وروح "أمرك بالصمت" يسعى إلى فرض الصمت على مخاطبة يحتمل أنه يسعى إلى الانتقال من حالة الضجيج في الكون إلى حالة السكون فيه. [3]

---

[1] نواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي- المبادئ ة الإجراء- ، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، الطبعة 1، 2003، ص 31- 32.

[2] محمد يحياتن: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، (د.ط) ، (د.س)، ص 33-34.

[3] ألان روبول، جاك موسلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة، سيف الدين دغفوس، محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ، ط1، 2003، ص29.

وانطلاقا من هذه الملاحظة استنتج أوستين ما يلي: من ضمن الجمل غير الاستفهامية أو الأمرية أو التعجبية، أي من ضمن الجمل الخبرية، توجد الجمل من قبيل القط فوق الحصير، أو ينزل المطر التي تصف الكون ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب وتوجد جمل أخرى لا تصف الكون ولا يمكن الحكم عليها بمعيار الصدق أو الكذب فسمى أوستين الجمل من الضرب الأول وصفية، ومن الضرب الثاني إنشائية.

وستعرف رؤية أوستين ضمن محاضرات وليام جيمس تطورا وتجدرا فهو يلاحظ بدءا أن المقابلة بين الجمل الوصفية والجمل الإنشائية ليست بالبساطة التي ضنها في البداية وقد قادته هذه الملاحظة إلى تمييز جديد لا يزال مقبولا إلى يومنا هذا.فهو يقر بأن كل جملة تامة تقابل إنجاز عمل لغوي واحد على الأقل، ويميز بين ثلاثة أنواع من الأعمال اللغوية، العمل الأول: هو العمل القولي وهو العمل الذي يتحقق ما إن نتلفظ بشيء ما أما الثاني فهو العمل المتضمن في القول، وهو العمل الذي يتحقق بقولنا شيئا ما، أما الثالث فهو عمل التأثير بالقول والعمل الذي يتحقق نتيجة قولنا شيء ما. [1]

3– مبادئها وأقسامها:

أ– مبادئها: وقد لخص مبادئها وأقسامها في العناصر التالية:

1– المبدأ الأول: الكلمات هي الوحدات الأساسية للبراغماتية.

2– المبدأ الثاني: إذا ظهرت كلمة في نص أو خطاب، فيجب أن تكون علاقات الكلمات صحيحة من الوجه النحوي.

3– المبدأ الثالث: لا يتم تعيين معنى كلمة أو كلام إلا في مقام معين.

فهذه المبادئ تبين لنا كيف يتحدد معاني الكلم وأن البراغماتية تستمد وجودها من المستوى التركيبي وأن السياق هو محور النظرية كلها.

وتكتشف لنا هذه المبادئ عن أسئلة مهمة تحاول البراغماتية الإجابة عنها مثل: من يتكلم؟ ما مصدر الإيضاح والتشويش؟ كيف نتكلم بشيء أخر؟

[1] ألان روبول، جاك موسلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل ،ص30 . 32.

وأن هذا المفهوم صالح لتوضيح نظرية في المعنى هي النظرية المقامية الدالة على محورية التلقي، ومن هذا المحور نستأنف طرح مسألة الإيصال والتلقي لعلنا ننتهي إلى مشروع صالح لتوجيه خطابنا المعاصر. [1]

أ- أقسامها: تنقسم التداولية إلى عدة نظريات تتفق في عنصر السياق وتختلف طريقة التعبير عنه، إذ يمكننا تحديدها بصفة عامة فيما يلي:

- نظرية التلفظ.

- نظرية أفعال الكلام.

- الخطاب وقوانينه. [2]

- نظرية الحجاج.

4- مهام التداولية وأهميتها:

أ- مهامها:

- تتلخص مهام التداولية في:

- دراسة استعمال اللغة التي لا تدرس البنية اللغوي ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة أي باعتبارها كلاما محددا صادر من متكلم محدد وموجها إلى خطاب محدد بلفظ في مقام تواصلي محدد لتحقيق غرض تواصلي محدد.

شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات [3]

بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر.

- شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرفة في معالجة الملفوظات.

وعليه فإن بعض الدارسين يعولون على التداولية في تحقيق مجموعة من الرهانات تعبر عنها الأسئلة التالية:

---

[1] حافظ اسماعيلي علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ، 2011، ط1، ص 72.

[2] عمر بلخير: مقالات في التداولية والخطاب، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، (د.ط)، 2013، ص 164.

[3] حافظ اسماعيلي علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، ص 40.

– كيف نصف الاستدلالات في عملية التواصل، علما بأن الاستدلالات التداولية غير معقلنة، وربما كانت غير مقنعة في كثير من الأحيان؟

– ما هو نموذج التواصل الأمثل؟ (أهو الترميز أم الاستدلال؟).

– ما هي العلاقة بين الأنشطة الإنسانية الآتية: اللغة والتواصل والإدراك؟

– وما هي العلاقة بين الفروع المعرفية المشتغلة بهذه الأنشطة أي علم اللغة وعلم التواصل وعلم النفس المعرفي؟ [1]

– أهمية اللسانيات التداولية: تتجلى أهمية التداولية من خلال مستويات اللغة المختلفة، عند استعمالها في التواصل أو تأويلها فتجعل المتلفظ بالخطاب المرسل، يرتبط بالمقام، فيتنبأ بما يستلزمه الموقف ليراعيه أثناء انجازه خطابه، وبذلك يغدو معنى الملفوظات هو القيمة التي يكتسبها الخطاب في سياق التلفظ [2].

وهذا ما جعل المتلفظ بالخطاب هو المتكلم في المعنى، لا اللغة نفسها، وبذلك يستطيع ضمان حصول عملية الفهم والإفهام، حيث يوظف مستويات اللغة بما يستجيب مع قصده، متكئا في ذلك على السياق، بعده مؤثرا مهما في نظام الخطاب المنجز.

فاللسانيات التداولية تهتم بدراسة المعنى اللغوي أثناء الاستعمال، ولذلك سميت بـ:" لسانيات الاستعمال اللغوي"، وهذا ما جعلها أكثر دقة وضبطا في معالجتها للغة، وبالتالي فإن قدرة التداولية على التدخل في إثراء معاني الكلام، والذهاب في تأويل المسكوت عنه، ما يثري الخطاب بتمكينه من إثمار قراءات لم تكن دلالة اللغة البسيطة تحتملها ولا قادرة على تمثلها [3]

كما تبدى أهمية التداولية في محاولتها للإجابة عن الأسئلة العديدة التي مثلت إشكاليات جوهرية، أثناء معالجة النصوص المختلفة كما تظهر أهميتها في تجاوز النظر اللغوي في مستوى الجملة. [4]

---

[1] مسعود صحراوي – التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لأفعال الكلامية في التراث العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر – بيروت –لبنان – 2015– ط1– ص 16.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت– لبنان –ط1، 2004– ص 22.

[3] لهو يمل باديس: مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر – بسكرة –الجزائر– العدد7، 2011، ص 10.

(4) المرجع نفسه–ص10.

ومن خلال ما عرضناه عن مهام التداولية، وأهميتها نخلص إلى أن لها دور فعال في عملية التواصل وذلك من خلال دراسة اللغة أثناء التلفظ.

5- البلاغة والتداولية:

إن البلاغة والتداولية جذور عريقة في تاريخنا وأدبنا ومعرفتنا، إذ تقوم التداولية على آليات تساعد في الكشف عن المعنى ومكوناته، وبهذا تكون مدخلا مناسبا لدراسة التراث البلاغي، فإن أي مدى تستجيب البلاغة للطرح التداولي؟

إن تعريفات البلاغة لدينا تنطلق من حقول مختلفة، لكن أصحاب هذه الرؤى تلتقي في أن البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، وهذا القول هو صفوة ما أشار إليه القدماء ولم يكن هذا المعنى بعيدا عن المعاصرين، فكل ما تقتضيه الأحوال ويدعو إليه المقام في الأساليب والعبارات فإنه من صميم البلاغة. [1]

فعلى نظرية البلاغة تنهض البراغماتية، أي أن البلاغة أصبحت مرادفة للبراغماتية، فالبلاغة حسب تعبير ليتش تداولية في صميمها، فهي ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما مستخدمين وسائل محددة للتأثير والتأثر المتبادلين بينهما، والبلاغة والتداولية – البراغماتية – تتفقان في اعتمادهما على اللغة كأداة لممارسة الفعل على المتلقي. [2]

ولو طلع الغرب على النظرية البلاغية العربية لكانت البراغماتية على غير ما هي عليه اليوم، ولا احتاجت إلى سنوات أقل حتى تصل إلى ما وصلت إليه الآن، أما مصطلح السياق هو المحور الذي تدور حوله البراغماتية، فالمقام هو المحور الذي تدور حوله البلاغة العربية، وتدفع أهمية السياق بماكس بليك إلى إعادة تسمية البراغماتية بالسياقية، فلا غزو أن نسمي البراغماتية "بالمقامية". وهكذا نرى أن للبراغماتية جذورا ممتدة في تراثنا البلاغي والنحوي والنقدي...، فقد أدرك بلغاء العربية القدامى ظاهرة السياق من خلال عبارتهم (مقتضى الحال) التي أنتجت مقولاتهم (لكل مقام مقال) ولكل كلمة مع صاحبتها مقام، فانطلقوا في مباحثهم حول فكرة المقام

---

[1] حافظ اسماعيي علوي: التداوليات علم استعمال اللغة ، ص 73.

[2] صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1996م ، ص 124.

وربطها بالتركيب والصياغة، فربطوا الشكل اللغوي أو معيار الكلام في باب الحسن والقبول بحسب مناسبة الكلام لما يليق (بمقتضى الحال ولا المقام)، [1]

ويجد لباحث نفسه أمام مصطلحي الحال والمقام المرتبطين بالمقال الذي هو النص أو العبارة أو الخطاب – فما مرجعيتها؟ وما الأرضية التي نشأ فيها؟ هل هما ذو مرجعية بلاغية أو نحوية أم نقدية....؟ في الأصل يتردد وهذان المصطلحات في النصوص البلاغية، ثم انتقلا في حقل النحو والنقد. وقد يكون مفيدا الوقوف على دلالتهما في المقام الذي وردا فيه وترتيب النصوص التي تضمنتهما، بحسب تسلسلها الزمني، قبل أن يتخذا مصطلحا محدد الدلالة التي تضمنتهما، بحسب تسلسلها الزمني، قبل أن يتخذا مصطلحا محدد الدلالة، ومن ثم الوقوف على تطورهما الدلالي فهذا من شأنه أن يضعها أمام منبتها والغرض الذي استعمل فيه، فمن أقدم النصوص البلاغية التي ورد فيها هذان المصطلحان رسالة بشر بن المعتمر، وقد جاءت الإشارة إليهما فيها وجيزة ولكنها مكتفة الدلالة، يقول بشر: "والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال". [2]

يرى أن المعاني لا تشرف كلاما إلا بقدرتها على تحقيق الصواب وتحقيق المنفعة وذلك من خلال موافقة الحال ومناسبة المقام للمقال.

ويفهم من كلامه أن المقام الواجب مراعاته هو مقام "السامع"، من حيث طبقته " الخاصة، العامة" وهذه المراعاة تكون في المعاني، ولكل من الخاصة والعامة معان يخاطبون بها، يقول للجاحظ: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينهما وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستعملين على أقدار تلك الحالات ومن هنا يتضح لنا أن الجاحظ قابل بين الحال والمقام، وطبيعة المقابلة تقتضي طرفين مختلفين فالحال غير المقام [3]، ومجمل القول أن الكلام يرتبط بالجوانب البلاغية المرتبطة بالخطاب، مؤشرات تداولية مهمة تعنى بها قضايا التداولية أيما عناية، فالبلاغة من صفة عامة تعنى بجملة من العناصر تعد من صميم بحث اللسانيات التداولية، وتكون في المتكلم وهي:

---

[1] حافظ علوي اسماعيلي: التداوليات، علم استعمال اللغة، ص 74.

[2] أبو عثمان الجاحظ: البيان والتبيين ج 1، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة الخنجي مصر، ط2، 1960، ص 136.

[3] المرجع نفسه، ص 138،139.

- صحة اللغة وصوابها، ويشمل الاهتمام بمستويات اللغة، وعناية بسلامة الألفاظ من العيوب.
- أن يكون المتلفظ (المتكلم) صادقا في نفسه.
- أن يكون المعنى الذي قصده المتكلم مطابقا ومنسجما مع الألفاظ والجمل التي استعملها المتلفظ في خطابه.

فواضح أن هذه العناصر تشكل مجالات مشتركة بين البلاغة العربية واللسانيات التداولية بمختلف جوانب دراستها للمعنى. [1]

إن البلاغة العربية والتداولية يشتركان كما هو واضح في الاعتماد على اللغة بعدها أداة لممارسة الفعل على المتلقي في سياقات مخصوصة، ولذلك نجد من المحدثين من يسوي بين البلاغة والتداولية مثل: جيفري ليتش حيث يرى "أن البلاغة تداولية في صميمها، إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم والسامع"، فكلاهما يهتم بعملية التلفظ والعوامل المتحكمة فيها، قبل الكلام، وأثناء التلفظ بالخطاب، وإلى غاية انجازه. [2]

ومن خلال ما تم ذكره في حديثنا عن البلاغة والتداولية نخلص إلى أنهما يتفقان في دراسة الرسائل اللغوية التي يستعملها في عملية التواصل وعوامل المقام، كالعلاقة بين الكلام وسياق الحال، وأثر هذه العلاقة بين المتكلم والمخاطب، وبهذا إذن نقول أن البلاغة انطلقت من مبدأ وظيفي تداولي، يقوم على رصد خصائص تراكيب اللغة في علاقاتها بمقامات انجازها من جهة، وأغراضها التواصلية التي وضعت لأجلها من جهة أخرى.

المبحث الثاني: في ماهية المصطلح

1- تعريف المصطلح:

أ. لغة:

إن الدلالة اللغوية لمعنى "المصطلح" مأخودة من مادة "صلح"، إذ لم يرد لفظ الاصطلاح في معاجم اللغة العربية إلا بمعنى الصلح.

---

[1] لهويمل باديس: مجلة المخبرأبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة الجزائر، العدد7، 2011، ص 168.

[2] المرجع نفسه، ص 168.

قيل: الصلح ضد الفساد. [1]

وقيل: الصلح اسم من المصالحة وهي المسالمة بعد المنازعة. [2]

وقيل أيضا: الاصطلاح هو العرض الخاص، وهو عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شرع باسم ما بعد نقله عن موضعه الأول لمناسبة بينهما، كالعموم والخصوص أو لمشاركتهما في أمر أو مشابهتهما في وصف أو غيرها. [3]

هذا التعريف بيان لعملية وضع المصطلح، وتتمثل في تحويل المفردة التي كانت تدل على معنى المعاني في اللغة العامة إلى مفردة تدل على معنى جديد مع وجود قرينة تربط بين المعنى الأول والمعنى الثاني.

ب. اصطلاحا:

– المصطلح لفظ علمي يؤدي المعنى بوضوح ودقة، ويكون غالبا متفق عليه عند علماء علم من علوم أو فن من الفنون. [4]

– المصطلح هو لفظ مركب أو بسيط، الغاية منه تسمية الأشياء أو تعريفها أو تحقيقها عن طريق إسناد أحكام أو قيم لها من الفكر أو الواقع. [5]

والاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما.

وقيل: الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى.

وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء عن معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد.

---

[1] مجد الدين الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تحقيق: أنس محمد الشامي وآخرون، دار الحديث القاهرة ، مصر، مادة صلح، (د.ط)، 2008، ص 939.

[2] علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع مصر (د.ط)، (د.س) ص 2479.

[3] كشاف اصطلاحات الفنون: محمد علي التهانوي، تحقيق علي دحروج، ج2، مكتبة لبنان ناتنرون، ط1، 1996، ص 212.

[4] محمد أمهاوش: قضايا المصطلح في النقد الإسلامي الحديث، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص59.

[5] المرجع نفسه، ص60.

وقيل: الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين. [1]

إذا توقفنا عند هذه التعريفات التي يقدمها الجرجاني وجدنا أن بعضها يحتاج إلى بعض الضوابط ليصبح صحيحا، ففي التعريفين الأول والثاني يتضمنان التركيز على الاتفاق.

أما التعريفات الثلاث التي يوردها الجرجاني تبدو الأنسب، ذلك أنها تركز على الجانب الأهم في المصطلحات، وهو انتقال اللفظ للدلالة على معنى جديد غير المعنى اللغوي، وإن كان كل تعريف منها يركز على خاصية محددة من خواص المصطلح.

أما عن تأصيل لفظ "المصطلح" في اللغات الأجنبية، فلا شك أننا كلما ذكرنا لفظ المصطلح إلا ويتبادر إلى أذهاننا لفظ terminologie ، [2] وتجرد الإشارة إلى أن اللغات الأوروبية تطلق على المصطلح كلمات تكاد تكون متفقة من النطق والإملاء، وهي الكلمات term في الانجليزية، والهولندية والألمانية، و (terme) في الفرنسية، و(termino) في الاسبانية و(termin) في الروسية والبرتغالية فهذه الكلمة المشتركة في اللغات الأوروبية تجاوزت الإيطار اللغوي القومي، إذ تدل هذه الكلمات في الاستخدام العام في لغات أوروبية كثيرة على الحد الزماني أو المكاني أو على الشرط، وتدل الكلمة في الاستخدام التخصص على أية كلمة أو تركيب يعبر عن مفهوم، والمعنى الأساسي يتلخص في التحديد من حيث الزمان أو المكان أو الشرط أو الدلالة المتخصصة. [3]

وإن لهذه الكلمة في اللغات الأوروبية اشتقاق مزدوج فثمة تأصيل يوناني وتأصيل لاتيني في اللغة اليونانية كلمتان (terma) و (termon) دلت الأولى في المجال الألعاب الرياضية على الهدف الذي تعدو إليه الخيل، والعلامة التي توضح مدى رمية القرص كما تدل على أعلى نقطة يصل إليها اللاعب تم تغيرت هذه الدلالات فأصبحت تدل على النهاية مادية كانت أو معنوية. [4]

في اللغة اللاتينية كلمتان (termer) و(terminu) ثم كلمة (termo) الدخيلة من اليونانية، تدل هذه الكلمات على الحجر الذي يميز حدود منطقة، وتدل كذلك على النهاية أو الطرق البعيد أو الهدف.

---

[1] علي بن علي الجرجاني: التعريفات، دار الكتاب العربي، لبنان (د.ط)، ص 30.

[2] لعبيد بو عبد الله: مدخل إلى علم المصطلح والمصطلحية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر (د. ط)، (د.س) ،ص 16-15.

[3] محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة القاهرة ، مصر، د.ط، 1993،ص 09.

[4] المرجع نفسه، ص 15.

وقد استخدمت كلمة (terminus) على مدى عدة قرون بمعنى حد الحقل وهو استخدام مادي، وبمعنى الحد المنطقي وهو استخدام معنوي. [1]

إن أفضل تعريف للمصطلح في كونه لفظ أو عبارة أو الزمن الذي يعين مفهوما مجردا أو محسوسا داخل مجال من مجالات المعرفة.

2- نشأة المصطلح:

لاشك أن الظاهرة المصطليحة، من حيث هي أسماء خاصة لقطاعات معرفية أو تقنية أو فنية أو مهنية، قديمة قدم الأنشطة النظرية والتطبيقية للإنسان وقد تجلت معالم هذه الظاهرة بكيفية واضحة مع وجود اللغات الطبيعية لكن العناية بدراستها والاهتمام بأبعادها المعرفية والاجتماعية والاقتصادية لم يتحقق إلا في العصر الحديث نظرا لما عرفه مجال المصطلحات من نمو متزايد بوتيرة سريعة نتيجة القفزات النوعية التي عرفتها مختلف أصناف المعارف والاختراعات، علاوة على التوسع الهائل الذي شهدته المبادلات الاقتصادية والعلاقات السياسية ووسائل الإعلام المسموعة والمكتوبة والمرئية.

ظهر مصطلح " علم المصطلح" (terminologie) وعلم المصطلحات (sciences de termes) في النصف الأول من القرن الثامن عشر ميلادي على يد المفكر الألماني كريستيان كوتفريد شوتز، لكنه لم يأخذ طابعة النسقي على صعيد التسمية، إلا مع المفكر الإنكليزي ويليام (1887) حيث ظهرت مصطلحات التاريخ، أما البيانات المصطلحية الأولى فيعود تاريخها إلى سنة (1906)، وقد اقترن ظهورها بأسماء علماء روس مثل زهروف وسفرجان [2] وكان الغرض توحيد قواعد وضع المصطلحات على النطاق الدولي، ويظهر هذا الإهتمام جليا في دول أوروبا، حيث صدر مابين عامي 1906 و1928 معجم سلومان المصور للمصطلحات التقنية في 16 مجلدا وبست لغات على أيدي فريق دولي من الخبراء.

---

[1] محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص15.

[2] علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية شارك في إعداده أعضاء شبكة تعريف العلوم الصحية، المكتب الاقليمي الشرق الأوسط، محمد الدراسات المصلحية فاس، المغرب 2005 ص 4.

إذا لم يرتب المصطلحات الفبائيا، وإنما رتبها على أساس المفاهيم والعلاقات القائمة بينها، بحيث يساهم تصنيف المفاهيم ذاته في توضيح مدلول المصطلح وتفسيره، كما شهد عام 1913 صدور كتاب بالتوحيد الدولي للغات الهندسية، وخاصة الهندسة الكهربائية. [1]

وفي عام 1936 وبطلب من الإتحاد السوفياتي ممثلا في أكاديمية العلوم السوفياتية تشكلت اللجنة التقنية للمصطلحات ضمن الإتحاد العالمي لجمعيات المقاييس الوطنية (ISA)، وبعد الحرب العالمية الثانية حلت محل لجنة التقنيات للمصطلحات لجنة جديدة تسمى اللجنة التقنية 37 المتخصصة في وضع مبادئ المصطلحات وتنسيقها وهي يندرج ضمن المنظمة العلمية للتوحيد المعياري.

تزداد حركة التطور تدريجيا بتأسيس مركز المعلومات الدولي للمصطلحات في فينا بالتعاون مع اليونسكو والحكومة النمساوية، وكان ذلك عام 1971 وقد عمل المركز على البحث في المصطلحات وحل مشكلاتها المنهجية من خلال عقده لعدة مؤتمرات وندوات عالمية حيث كانت أول ندوة له جول التعاون الدولي في حقل المصطلحات التي نظمت في فينا عام 1975، ونظم المركز في فينا كذلك في نيسان 1979 المؤتمر الأول لبنك المصطلحات الدولية، وآخر هذه الندوات والمؤتمرات هي الندوة التي نظمها المركز المذكور مع أكاديمية العلوم السوفياتية في موسكو في أواخر شهر تشرين الثاني 1979 لبحث المشكلات النظرية والمنهجية في علم المصطلح، وكان ذلك بالاشتراك مع المنظمة الدولية لتوحيد المصطلحات والمركز الدولي لتوثيق المصطلحات والجمعية الدولية لعلم اللغة التطبيقي ومكتب تنسيق التعريب. [2]

أما في الوطن العربي، فإن تطوير علم المصطلح قد اطلعت به مجامع اللغة العربية نذكر منها مجمع دمشق 1919 ومجمع القاهرة 1932، ومجمع بغداد 1947، ومجمع الأردن 1976، والمجمع السعودي 1983 ومكتب تنسيق التعريب 1969 وما لمجلته الرائدة (اللسان العربي) من دور ريادي في هذا الشأن، والجمعية المعجمية التونسية ومجلتها المعجمية 1985 التي يديرها الدكتور محمد رشاد الحمزاوي صاحب النشاط "الاصطلاحي" المتميز تنظير أو ممارسة. [3]

---

[1] إشكالية المصطلح اللساني في الكتابات العربية الحديثة: بو درهم مريم، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة بسكرة، 1433/ 1434هـ، 2012، 2013م، ص 14.

[2] المرجع السابق ص15- 16.

[3] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي، الدار العربية للعلوم ناتنرون، ط1، 2008، ص 30.

أين ازدادت العناية والتركيز أكثر على المصطلحات الحديثة للعلوم الجديدة والتي كانت في معظمها وافدة إلى العربية بلغات مختلفة، وتشجيع الأبحاث التي تعالج هذه القضية ونشرها في صفحات مجلة اللسان العربي، فقد كان لإنشاء هذه المجامع دور واضح في تنمية الدعوة لحل المعضلة التي تواجه المصطلحات، ونقل العلوم الأجنبية غلى العربية، والسبل الكفيلة بذلك، وعقد الدورات باختيار المصطلحات وإقرار الأنسب منها، ونشر الأبحاث والمقالات المختلفة في مجال المصطلحات على أعداد المجلة. [1]

3- أهمية المصطلح:

المصطلحات وباعتبارها مفاتيح العلوم وذلك لأهميتها الكبيرة في وصف العلوم، لأن المصطلح هو لفظ يعبر عن مفهوم والمعرفة مجموعة من المفاهيم التي يرتبط بعضها ببعض في شكل منظومة وقد ازدادت أهمية المصطلح وتعاظم دوره في المجتمع المعاصر الذي أصبح يوصف بأنه مجتمع المعلومات أو مجتمع المعرفة حيث أن الشبكة العالمية للمصطلحات في فيينا بالنمسا اتخذت شعار: لا معرفة بلا مصطلح. [2]

فعمليات الإنتاج والخدمات أصبحت تعتمد على المعرفة، خاصة المعرفة العلمية والتقنية فيفضل تكنولوجيا المعلومات والاتصال غيرت من خلالها الشركات أدوات التصميم والإنتاج نتيجة للثورة التكنولوجية المعاصرة فحصل اندماج وترابط بين أنواع المعارف والتكنولوجيات المختلفة أدى إلى توليد علوم جديدة، وصناعات جديدة وخدمات جديدة، وظهرت في السوق سلع وخدمات مبنية على تحويل المعارف إلى منتجات، فكلما انتشرت المعرفة بين أفراد المجتمع تحسن أداؤهم وارتفع مردودهم الاقتصادي، فاللغة وعاء المعرفة وأساس التواصل في المجتمع المعلومات وفي ذلك تكمن أهميته الكبيرة، ودوره الحاسم في عملية المعرفة.

تساعد المصطلحات في معرفة حقائق الأشياء وبيان ماهيتها، فلكي يتمكن المرء من تحديد خصائص العلوم والفنون فعليه أن يحدد رسوم هذه العلوم وحدودها، فلا شك أن من لوازم الفنون ومبادئ العلوم، لأولوية مبدأ الحدود، لذا فقد جعل العلماء باب الحدود أحد المبادئ الأساسية في المعرفة.

---

[1] العبيد بو عبد الله: مدخل إلى علم المصطلح والمصطلحية، ص 61- 62.

[2] علي القاسمي: علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، بيروت، لبنان، 2008.

ليست المصطلحات قوالب لفظية أو أسماء وكلمات فحسب بل هي مستودعات كبرى للمعاني والدلالات، كثيرا ما تتجاوز البناء اللفظي، وتتخطى الجدر اللغوي، لتعكس كوامن فلسفة الأمة. [1]

إن من أهم ما تعنى به الدراسات المنهجية تحديد معاني المصطلحات التي يدور حولها البحث، لأن تحديد معنى المصطلح يعمل على تضييف دائرة الخلاف بين الفرق.

إن ضبط الألفاظ وتحديدها في أي علم يؤدي بالضرورة إلى تماسك بنيان هذا العمل ويؤدي إلى وجود لغة مشتركة بين الباحثين في هذا الحقل. [2]

المصطلح هو المعبر عن هوية الأمة وذاتها وأصلها وهو اللفظ الذي يتفق عليه المفكرون ليدلوا به على شيء محدود ويميزوا به معاني الأشياء بعضها عن بعض وهو سمة بارزة في لغة المتعلمين حيث يعتبر لغة التفاهم بين المفكرين، ووسيلة للتعبير عن الرؤى والأفكار.

المصطلح يعتبر عند المؤرخين شاهدا تاريخيا وفكريا وعلميا في مرحلة من مراحل تطور الإنسان، والمصطلح كمية صوتية وشحنة دلالية توفر لك الجهد وتختصر لك المسافة، وتقرب الزمن في عمليتي التوصيل والتحصيل، فبأقل مجهود نحصل على أكبر مردود ولولا المصطلح ما قامت حياة طبيعة فوق الأرض، فبالمصطلح لا يغيب شيء عن مذكرة المجتمع. [3]

وبهذا يكون المصطلح الركيزة الأساسية التي يتأسس عليها العلم وتتحدد بذلك معالمه ويكتسب شريعته داخل مختلف العلوم المعرفية وبذلك يكون المصطلح مفتاح العلوم والمعارف كلها، فإذا أردت ولوج باب معرفة ما فبمفتاح مصطلحاتها، ومنه يكون المصطلح مفتاحا لتعليمة العلوم واللغات، وإطار موسوماتي تحصيلها من غير انحراف مقصود ولا إجحاف مردود.وعلى الرغم من أهمية المصطلحات فإن العناية بها لم تتخذ صورة العلم الذي له أسسه وقواعده ونظمه التي يتحكم إليها إلا في وقت متأخر حين نشأ ما يمكن تسميته بعلم المصطلح على يد كل من السوفياتي لوط والألماني وستر، [4] وبهذا يكون هدف هذا العلم صياغة المبادئ التي تحتكم وضع المصطلحات الجديدة وتوحيد المصطلحات القائمة فعلا، وتوثيق المصطلحات ونشرها في معاجم متخصصة.

---

[1] محمد الديداوي: الترجمة والتعريب، المركز الثقافي المغرب، ط 1، ص 275.

[2] عادل سالم: أهمية المصطلح في الفكر الإسلامي.

[3] عمار ساسي: صناعة المصطلح في السان العربي، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2012، ص 05.

[4] مصطفى طاهر الحيادرة: من قضايا المصطلح اللغوي العربي ج 1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص 19.

تبدو أهمية المصطلح ذلك في إحياء التمدن والحضارة ، حيث أن المؤلف العربي الذي يريد أن يكتب في فن ما عليه أن يصف وقتا طويلا، وجهدا وفيرا في المراجعة والبحث والتفتيش ولكن برجوعه إلى المصطلح يسهل كل شيء.

كما تزداد أداة المصطلح الجديد في اللغة تزايدا هائلا فاللغات جميعها تهتم بالمصطلح والمصطلح الجديد والعمل في النشاطات التي ينتج عنها عرض للمصطلحات لا يؤدي بالضرورة إلى انتشارها، ولابد من توليد وتداول المصطلح الجديد وهو في المقابل لا يجري إلا في التعليم العالي وفي البحث والتطوير وفي الإنتاج والخدمات [1].

تعد المصطلحات والصيغ جزءا من المنهج العلمي، حيث إنها تساعد على التخصص، وتعين على حسن الأداء، كما أن لها فائدة تربوية واجتماعية حيث إنها تجمع المتعلمين على دلالات واضحة مما يساعد على التفاهم بينهم كما أنها تيسر لها استساغة الحقائق العلمية في قوالبها الثابتة، ومن ثم لا مفر من القول بأن المصطلحات ضرورة علمية، ووسيلة مهمة من وسائل التعليم ونقل المعلومات. [2]

ولأن اللغة تتميز بثروتها اللغوية، فإنها تخدم وتسهل عملية الترجمة بشكل كبير، وذلك من خلال آليات وطرق توليد المصطلحات، كالاشتقاق والنحت والتعريف وغيرها، والتي لجأت إليها المجامع العلمية واللغوية، ومختلف الهيئات العلمية المتخصصة للغة العربية.

4- سمات المصطلح:

إن من أهم السمات التي يتميز بها المصطلح عن باقي الكلمات في اللغة العامة دلالته المحددة الواضحة والتي تضمنت له مكانة داخل التخصص الواحد، ووضوح المصطلح يرتبط في المقام الأول بوضوح المفهوم الذي يدل عليه، ويتحدد في إطار نظام المفاهيم في داخل التخصص الواحد [3]، وتوحي الوسائل الصرفية المختلفة لتكوين المصطلحات بشيء من دلالة المصطلح ولكنها ليست الأساس في تحديدها.

فالمصطلحات العلمية تتحدد دلالاتها، وعباراتها في إطار نظرية متكاملة وهي لا تظهر إلا بوصفها عناصر مكملة للنظرية ومن ثم فإن المصطلح يخضع في تطوره للتخصص نفسه ولا يتحدد إلا داخل النظام الذي يكونه

---

[1] محمد مراياتي: المصطلح في مجتمع المعلومات أهمية وإدارته وإدواته، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا، ص 1.

[2] عادل سالم: أهمية المصطلح في الفكر الإسلامي، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، 7 أكتوبر 2015.

[3] المصطلح بين الترجمة والتعريب: وهيئة كروش مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري قسنطينة.

ذلك التخصص [1]، وقد ينقل المصطلح من التخصص العلمي إلى اللغة العامة ولكن يظل هناك اختلاف بين الاستعمال المصطلحي والاستعمال العام.

وإضافة إلى ذلك تكون المصطلحات جزءا من لغات التخصص سواء أكانت في المجال العلمي أو المجال المهني، فالمصطلحات وحدها لا تقيم اللغة، بل فيها خصائص صرفية ونحوية محددة ولا شك أن السمة الجوهرية المميزة للعبارة المتخصصة تكمن في مصطلحاتها، فقد أثبتت بحوث تعليم اللغات لأغراض خاصة أن في كل لغة تخصصية خصائص صرفية ونحوية تشيع فيها إن لغات التخصص تتوخى الدقة والدلالة المباشرة وكلتاهما سمة جوهرية في المصطلحات العلمية والتقنية وهذه السمة تجعل لغات التخصص تختلف عن اللغة العامة وعن اللغة الأدبية لذلك يجب أن تكون المصطلحات دالة على نحو المباشر ودقيق وبعيد عن البس والغموض [2].

ومن سماته كذلك أن يكون المصطلح واضحا إلى أقصى درجة باعتبار أن لغات التخصص بصفة عامة تتسم مصطلحاتها بالوضوح والبساطة وبتراكيبها المحددة وهذا ناتج عن استقلال المجال المعرفي والتقني الذي تنتمي إليه [3] وهو ما يميز المصطلح عن باقي الكلمات في اللغة

أن يكون المصطلح مفرا ومركبا أي يكون المصطلح عبارة عن كلمة أو مجموعة من الكلمات معنى هذا لا يشترط في المصطلح دائما أن يكون مفردا بل قد يكون أيضا مجموعة من الكلمات وهنا تجدر الإشارة إلى أنه لا ينبغي أن يأتي عبارة طويلة وإلا فقد أهم خصائصه [4].

وليس من الضروري كذلك أن يحمل المصطلح كل صفات المفهوم الذي يدل عليه بل يكتفي بصفة واحدة على الأقل من صفات ذلك المفهوم فكلمة "سيارة" لا يحتمل من دلالة الكلمة إلا صفة واحدة هي "اليسر" وما أكثر المركبات والكائنات التي تسير.

5- وظائف المصطلح:

ينهض الفعل الاصطلاحي بجملة من الوظائف المختلفة التي يمكن تلخيصها فيما يلي:

---

[1] لعبيد بو عبد الله: مدخل إلى علم المصطلح والمصطلحية، ص 23.

[2] المرجع السابق، ص 24.

[3] إشكالية المصطلح في المؤلفات العربية: رشيد عزي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة البويرة.

[4] لعبيد بو عبد الله: مدخل إلى علم المصطلح والمصطلحية ص 25.

أ- الوظيفة اللسانية: فالفعل الاصطلاحي مناسبة علمية للكشف عن حجم عبقرية اللغة، ومدى اتساع جذورها المعجمية وتعدد طرائقها الاصطلاحية وبالتالي قدرتها على استيعاب المفاهيم المتجددة في شتى الاختصاصات.

ب- الوظيفة المعرفية: لا شك أن المصطلح هو لغة العلم والمعرفة، وقو اللغة تكمن في مصطلحاتها ودقة معناها وسداد إبانتها، واعتدال ميزاتها وانسجام أصواتها [1]، لذا فقد أحسن علمائها القدامى صنعا حين جعلوا من المصطلحات مفاتيح العلوم لأنها علامات المعرفة وسمات تعرف بها العلوم وهي ألوان مختلفة مفتوحة تنتظم بها الحياة سكونا وحركة، وتتعارف بها الأجيال وتتحاور بها الحضارات وتتقدم بها الأمم، وهي سجل تاريخي للإنسان منذ بداية نشأته إلى حاضره، وعليه فمن الصعب أن نتصور علما قائما دون جهاز اصطلاحي لأن بين العلم والمصطلح لحاما هو كالتماهي الذي يقوم بين الدال والمدلول [2].

ج- الوظيفة التواصلية: بما أن المصطلح مفتاح العلم، فهو أيضا أبجدية التواصل، وهو نقطة الضوء الوحيدة التي تضيء النص حينما تتشابك خيوط الظلام. فلا يمكن تجنب الأدوات الاصطلاحية لأي فن معرفي كان لأنه يعد ضربا من التشويه وبالتالي فإن اللغة الاصطلاحية من شأنها أن تفقد فاعليتها التواصلية خارج سياق أهل الاختصاص، فهي لغة نخبوية لا مسوغ لاستعمالها مع عامة الناس [3].

د- الوظيفة الاقتصادية: يقوم الفاعل الاصطلاحي بوظيفة اقتصادية بالغة الأهمية، تمكننا من تخزين كم معرفي هائل في وحدات مصطلحية محددة، والتعبير بالحدود اللغوية القليلة عن المفاهيم المعرفية الكثيرة، ولا يخفى ما في هذه العملية من اقتصاد في الجهد واللغة والوقت، يجعل من المصطلح سلاحا لمجابهة الزمن، يستهدف التغلب عليه والتحكم فيه [4].

هـ- الوظيفة الحضارية: لا شك أن اللغة الاصطلاحية لغة عالمية بامتياز، إنها ملتقى الثقافات الإنسانية، وهي الجسر الحضاري الذي يربط لغات العالم بعضها ببعض وتتجلى هذه الوظيفة خصوصا في آلية الاقتراض لا غنى لأية لغة عنها، حيث تقترض اللغات بعضها من بعض صفات صوتية تظل شاهدا على حضور لغة ما، حضورا

---

[1] عمار ساسي صناعة المصطلح في اللسان العربي، ص 04.

[2] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي ص 42.

[3] المرجع نفسه، ص 42، 43.

[4] المرجع نفسه، ص 44.

تاريخيا ومعرفيا وحضاريا في نسيج لغة أخرى، وتتحول بعض المصطلحات إلى كلمات دولية من الصعب أن تحتكرها لغة معينة، ومن الصعب أن تنسب إلى لغة بذاتها، فيتحول المصطلح إلى وسيلة لغوية وثقافية للتقارب الحضاري بين الأمم المختلفة.[1]

من خلال ما تقدم يتبين لنا أن وظائف المصطلح تختلف حسب المجال الذي ترد فيه المصطلحات.

[1] يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي، ص 44.

الفصل الثاني:

دراسة تطبيقية في

دلائل الإعجاز

تناولنا في هذا الفصل دراسة تطبيقية في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، حيث قمنا باستخراج المصطلحات التداولية التي تناولها الجرجاني في كتابه من أجل تحليلها وتفسيرها، ومقارنتها مع المحدثين، وباعتبار كتاب دلائل الإعجاز خطابا موجها من طرف صاحب الكتاب إلى متلق يهدف من وراءه إفهام المتلقي وتوصيل الغرض إليه، وعلى ضوء هذا يمكننا طرح التساؤل التالي: ما هي الآليات التي اعتمدنا الجرجاني في خطابه؟

I – التعريف بعد القاهر الجرجاني:

هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني ولد بجرجان سنة 400 هـ أخذ النحو عن أبيه الحسين محمد الفارسي وكان من أئمة العربية والبيان، فقيها على مذهب الشافعية، والحق أن الإمام عبد القاهر كان شخصية فذة[1]، نشأ فقيرا في أسرة رقيقة الحال ولهذا لم يتمكن من أخذ العلم خارج مدينة جرجان على الرغم من ظهور ولعه المبكر بالنحو والعلم والأدب وقد عوضه الله ذلك عن ذلك بعالمين كبيرين كانا يعيشان في جرجان هما: أبو الحسين ابن الحسن بن عبد الوارث الفارسي النحوي والقاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، وقد أخذ الأدب على يد القاضي الجرجاني وقرأ كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومة، تتلمذ عبد القاهر على أثار الشيوخ والعلماء الذين أنجبتهم العربية، ترك عبد القاهر آثار مهمة في الشعر والأدب وعلوم القرآن من ذلك ديوان في الشعر وكتب عدة في النحو والصرف نذكر منها كتاب الإيضاح في النحو وكتاب الجمل، أما في الأدب وعلوم القرآن فكان له إعجاز القرآن والرسالة الشافية في الإعجاز ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وقد أورد في كتابيه الأخيرين معظم أراء في علوم البلاغة العربية، وهو يعتبر مؤسس علم البلاغة ويُعد كتاباه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة من أهم الكتب التى ألفت في هذا المجال وقد ألفهمها الجرجاني لبيان إعجاز القرآن الكريم وفضله على النصوص الأخرى من شعر ونثر وقد توفي سنة 471هـ.[2]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: الرسالة الشافية في إعجاز القرآن الكريم ، دار المأمون للتراث، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص 11.

[2] ينظر: مازن مبارك: الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر للنشر والتوزيع، (د .ط)،(د .س)، ص 89.

II – المصطلحات التداولية في كتاب دلائل الإعجاز:

1– مصطلحات العملية التواصلية:

1– المتكلم:

أولى عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز اهتماما بالغا بالمتكلم إذ يعد هذا الأخير عنصرا محوريا في عمل القول، بحيث لا يكون للكلام معنى دون نسبته إلى ذلك المتكلم، لأنه هو من يقوم بإنجاز فعل الإثبات أو فعل النفي، إذ تتضح كأفعال كلامية ينطلق منها المتكلم لنجيز بها أغراض تتصل بالقصد مما يجعل المتكلم مرتبط بقصدية الكلام وبالمعاني النفسية التي تنطلق من داخل المتكلم لتتجلى في شكل رسالة خطابية موجهة إلى الطرف الثاني من عناصر التخاطب ألا وهو السامع وهذا ما يؤدي بنا إلى إمعان النظر في الملمح التداولي الذي يقف وراء إنجاز المعاني وذلك من خلال إعطاء أهمية للمتكلم الذي يعمل على إظهار القول وشحنه بدلالات يكون له الفضل في إنجازها ويتوخى تأويلها عند مخاطبه وفي هذا الصدد يقول الجرجاني: "وإذا قد عرفت أنه لا يتصور الخبر إلا فيما بين شيئين مخبر ومخبر عنه، فينبغي أن تعلم أنه لا يحتاج من بعد هذين إلى ثالث، وذلك أنه كما لا يتصور أن يكون هاهنا حتى يكون مخبر به ومخبر عنه، وكذلك لا يتصور خبر حتى يكون له مخبر يصدر عنه ويحصل من جهته ويكون له نسبة إليه وتعود التبعة فيه عليه، فيكون هو الموصوف بالصدق إن كان صادقا، وبالكذب إن كان كاذبا، أفلا ترى أن من المعلوم أنه لا يكون إثبات ونفي حتى يكون مثبت وناف يكون مصدرهما من جهته، ويكون هو المجزي لهما والمبرم والناقض فيهما ويكون بهما موافقا ومخالفا، ومصيبا ومخطئا، ومحسنا ومسيئا".[1]

فمن خلال تصفحنا لكتاب الدلائل نجد أن الجرجاني، اعتنى بالمتكلم وأعطاه عناية كبيرة وهذا يظهر واضحا وجليا من خلال كثرة الألقاب التي خصه بها نذكر منها على سبيل المثال المتكلم، المخبر، المؤلف، الشاعر، الناظم، المنشئ، القائل وواضع اللغة وكلها أسماء تصب في معنى المتكلم إذ تعود هذه العناية من الجرجاني إلى أشعريته.

[1] عبد القاهر الجرجاني:دلائل الإعجاز في علم المعاني ،تح عبد الحميد هنداوي،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان،ط1،2001، ص 345.

ومن بين الأمثلة الموضحة لكثرة الألقاب للمتكلم قول الجرجاني: "واعلم أنها قد تدخل للدلالة على أن الظن قد كان منك أيها المتكلم في الذي كان أنه لا يكون".[1]

وقوله أيضا: "وهذا الضرب من المجاز على حدّته كنز من كنوز البلاغة ومادة الشاعر المغلق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان والاتساع في طرق البيان، وأن يجيء بالكلام مطبوعا مصنوعا وأن يضعه بعيد المرام قريبا من الإفهام".[2]

وفي موضع آخر يقول: "وذلك أن نظم الحروف هو تواليها في النطق وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها، بمقتف في ذلك رسما من ا لعمل اقتضى أن يتحرّى في نظمه لها ما تحرّاه فلو أن واضع اللغة كان قد قال: رَبَضَ مكان ضَرَبَ لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد".[3]

وبهذا يكون المتكلم الركيزة الأساسية في عملية التخاطب وتظهر أهميته عند الجرجاني أكثر عندما يخاطب المتكلم دون السامع فيقول في إحدى المواضع: "وإذا قد عرفت هذا في الكناية "فالاستعارة" في هذه القضية، وذاك أن موضوعها على أنك تثبت بها معنى لا يعرف السامع ذلك المعنى من اللفظ ولكنه يعرفه من معنى اللفظ. وبيان هذا أنا نعلم أنك لا تقول: رأيت أسدا إلا وغرضك أثبت للرجل أنه مساو للأسد في شجاعته وجرأته، وشدة بطشه وإقدامه، وفي أن الدعر لا يخامره، والخوف لا يعرض له، ثم تعلم أن السامع إذا عقل هذا المعنى، لم يعقله من لفظ أسد، ولكنه يعقله من معناه، وهو أنه يعلم أنه لا معنى لجعله أسدًا مع العلم بأنه رجل إلا أنك أردت أنه بلغ من شدة مشابهته للأسد ومساواته إياه، مبلغا يُتوهّم معه أنه أسد بالحقيقة".[4]

وبالتالي يكون للمتكلم دور بارز في اللسانيات التداولية باعتباره منتج للخطاب ومتلفظ به هذا من جهة أما من جهة أخرى يعد المتكلم أساس فهم المعنى وتحديد الدلالات ومقاصدها، لأنه يرتبط بما ينويه من كلامه وما يهدف إليه من خلال هذا الكلام.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 214.

[2] المصدر نفسه، ص 193.

[3] المصدر نفسه، ص 42.

[4] المصدر نفسه، ص 275.

2- المتلقي:

ينظر عبد القاهر الجرجاني إلى العملية التواصلية أنها نشاط لغوي يتأسس وفق تفاعل تواصلي بين طرفي الخطاب (المتكلم-المخاطب) إذ يعتبر المخاطب أحد العناصر الفاعلة في عملية التواصل فنجد الجرجاني قد استعمل لفظ السامع بكثرة للدلالة على المخاطب وكان نادرا ما يذكر لفظ المخاطب إذ لا يفرق بين اللفظتين فنجده يستعملها للدلالة على المستقبل للكلام إذ يقول في كتابه الدلائل: "إن قيل: قد مضيت في كلامك كله على أنه إنما للخبر لا يجهله المخاطب، ولا يكون ذكرك له لأن تفيده إياه، وإنّا لنراها في كثير من الكلام والقصد بالخبر بعدها أن تُعلم السامع أمرًا قد غلط فيه بالحقيقة واحتاج إلى معرفته، قيل: أما ما يجيء في الكلام من نحو: " إنما جاء زيد لا عمرو" فإنه وإن كان يكون إعلاما لأمر لا يعلمه السامع، فإنه لابد مع ذلك من أن تُدّعى هناك فضل انكشاف وظهور في أن الأمر الذي ذكر، وقد قسمتُ في أول ما اِفتتحت القول فيها فعلت:

"إنها تجيء للخبر لا يجهله السامع ولا ينكر صحته، أول لما يُنزّل هذه المنزلة[1] ، وبهذا يكون للمخاطب دور فعّال في تفكيك المعنى اِستنادا إلى عمليات ذهنية قصد تأويل يتناسب مع المقام أو السياق الذي يكون فيه، وذلك من خلال فهمه وذوقه ومعرفته بمضمرات نظم المتكلم وهنا تظهر كفاءته في حسن التأويل فمن النصوص التي تؤكد اِهتمام الجرجاني بالمخاطب قوله: "لأنه لا يخلو السامع من أن يكون عالما باللغة وبمعاني الألفاظ التي يسمعها".[2]

علما أن السامع يكون على دراية بالعبارات التي تأتيه، إذ تكمن العبرة في ترتيبها وحسن أدائها وبالتالي نجد أن المعاني لا تتزايد وإنما الألفاظ هي التي تتزايد كما يتطرق الجرجاني في موضع آخر إلى معاني النحو إذ يقول: "واعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعة من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة، فإذا قلت: ضرب زيد عمرًا يوم الجمعة ضربًا شديدا تأديبا له، فإنك تحصل من مجموع الكلم كلها على مفهوم، هو معنى واحد لا عدة معان، وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيد أنفس معانيها، وإنما جئت بها لتفيد وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو "ضرب" وبين ما عمل فيه، فينبغي لنا أن ننظر في المفعولة من "عمرو" وكون "يوم الجمعة" زمانا للضرب، وكون "الضرب" ضربا شديدا، وكون التأديب علة للضرب، وهو إسناد "ضرب" إلى

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 288-289.

[2] المصدر نفسه، ص 175.

"زيد" وإثبات الضرب به، حتى يعقل كون "عمرو" مفعولا به، وكون يوم "الجمعة" مفعولا فيه وكون "ضربًا شديدا" مصدرًا، وكون "التأديب" مفعولا له".[1]

فمن خلال هذا نجد أن نظم الكلم هو الذي يبين آثار الألفاظ وترتيبها حسب ترتيب المعاني في النفس.

إن اِعتماد الجرجاني على العقل في النظر إلى الأمور إنما هو راجع إلى قضية النظم التي جعلته ينفرد بنظرية جديدة لم تكن معهودة عند سابقيه، خاصة فيما يخص مسألة التلقي والتخاطب التي عالجها في إطار قضية النظم، لأنها مصدر التفاعل بين قطبي التواصل ألا وهما المتكلم والسامع، ويتجلى النزوع العقلي عند الجرجاني حينما يدعو المخاطب إلى ضرورة إعمال العقل لتعليل مزية النظم وبيان فضله، فالجرجاني من خلال كتابه الدلائل يظهر وكأنه يحفز المخاطب ويبث فيه الثقة في العملية التواصلية حتى يتجاوز بذلك التلقي والتواصل العادي إلى تلقي يمتاز بالمزية.

تكمن تداولية السامع (المخاطب) في الأهمية التي يأخذها المتكلم من الدراسة والحديث عنه أيضا يتضمن الحديث عن المتكلم والخطاب، فالمتكلم هو منتج الخطاب، والسامع يوّجه له الخطاب، فهو عنصر أساسي في إنتاج الخطاب لأن المتكلم حين يريد إبلاغه في شيء ما فإنه يراعي حاله والمقام الذي هو فيه.

3- الخطاب:

لقد ورد الخطاب بتعريفات متنوعة في ميادين عديدة، بوصفه فعلا، يجمع بين القول والعمل، وقد جاء لفظ الخطاب عند الغربيين، كما جاء عند العرب قديما، إذ ورد لفظ الخطاب في القرآن الكريم بصيغ متعددة ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ سورة الفرقان: الآية:63، وقوله كذلك: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾.سورة ا لنبأ: الآية:37 وقوله كذلك: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ ص: الآية: 20.

وعرفه الأمدي بأنه: "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من متهيء لفهمه"[2]، أما مصطلح الخطاب عند الغربيين فقد عرفه كل من ميشال فوكو بقوله: "هول تلك الشبكة المعقدة من العلاقات الإجتماعية والسياسية

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 262-263.

[2] عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب، ص 34-36.

والثقافية، التي أعيد إدماجها في عمليات تحليل الخطاب، الذي يحمل بعدا سلطويا من المتكلم بقصد التأثير في المتلقي".[1]

وكما عرفه أوليفي روبول بقوله: "مجمع من الجمل المنطوقة من طرف نفس الشخص عن موضوع معطى"[2]، ومن خلال هذا نفهم أن الخطاب إخراج المعنى عند المتكلم قصد إرساله إلى مخاطب مع مراعاة كيفية التعبير عن قصده.

وقد اهتم عبد القاهر الجرجاني بالخطاب وهذا ما يظهر في كتابه دلائل الإعجاز باعتباره خطابا موجها من مرسل إلى مرسل إليه، حيث اختار في ذلك آليات مناسبة من أجل إيصال مقاصده، بداية من اللغة التي سخرها في الكتابة، وأسلوب الطرح المعرفي لأفكاره. فهي لغة تساهم في تحقيق التفاعل بين طرفي الخطاب، بما يناسب السياق بمجمله، وذلك من أجل إفهام المتلقي وتوصيل الغرض إليه.[3]

حيث وظّف الجرجاني عدة آليات في خطاب من أجل تحصيل التواصل وإنجاحه وهذا ما يتضح من خلال العرض التدريجي لفصول كتاب دلائل الإعجاز، فجعله خطابا اتخذ فيه سبيل الإقناع للوصول إلى فهم القصد لدى المرسل إليه، حتى بنى عبد القاهر خطابه في دلائل الإعجاز على ملمح مقاصدي، اِفترض فيه وجود متلقٍ لرسالته، وهو ما يظهر في اِستعماله لضمير المخاطب (أنتَ) والمضمر في الفعل (اعلم) كما تبناه في عرض أفكاره، يهدف من وراءه إلى التأثر في المتلقي في قوله: "اعم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ..."[4]، وفي قوله كذلك: "اِعْلَمْ أنَّهُ لما كان الغلط الذي دخل على الناس في حديث اللفظ كالداء الذي يسري في العروق، ويفسد مزاج البدن وجب أن يتوخى الطيب في الناقة"[5]، وبهذا يكون قد حدد علاقته التخاطبية مع مخاطبه من خلال الفعل (اعلم). فهناك خطابات أخرى.

تحتاج إلى أولوية التوجيه، بحسب سياق الخطاب، وهو ما يسمى بالإستراتيجية التوجيهية هدفها التوجيه، وهنا المرسل يولي عناية فيها لتبليغ قصده وتحقيق هدفه الخطابي بإغفال جانب التأدب التعاملي الجزئي في الخطاب.

---

(1) نواري سعودي أبو زيد:في تداولية الخطاب المبادئ والإجراء، الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط1، 2009، ص 15.

(2) صابر محمود الحابشة: الأسلوبية والتداولية، مداخل لتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، ط1، 2011، ص 8.

(3) عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب، ص 180.

(4)عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 60.

(5) المصدر نفسه، ص 303.

ففيها يقوم المرسل إذا بتوجيه المرسل إليه عبر اللغة التي يستعين بها[1] ، وهو ما يتضح في خطاب الجرجاني إذ يسعى دائما إلى توجيه مخاطبه، وذلك بتوظيفه لفعل التوجيه قاصد من خلاله دحض فعل سائد، يتمثل في التبجيل الذي ساد اللفظ على حساب المعنى، وهو ما جعله يقيم خطاب بالاستناد إلى آليات التوجيه، من أجل ترسيخ نظرية النظم التي جعلها فعلا مستقبليا يدحض به أراء أنصار اللفظ، وقد سخر أسلوب النهي والاستفهام خاصة في بناء آليات الخطاب التوجيهي عنده، وبالتالي يعد الخطاب غرضا من أغراض التداولية، إذ يرتبط بالاستعمال والتداول وما استعماله إلا ليكون هادفا مقنعا محققا لأغراض المتكلم، باعتباره مقصد المتكلم، وحالة السامع، ومن هنا يتضح معرفة نوع الخطاب وأقطابه. إذ تقوم الدراسات التداولية بدراسة الخطاب، وهنا تبرز علاقة الخطاب بالتداولية لأن مفاهيمها ومبادئها ونظرياتها لا تظهر إلا في الخطاب وأنواعه بتحليله وإكتشاف بنياته وآلياته.[2]

– إعجاز القرآن:

لقد تحدث عبد القاهر في كتابه "دلائل الإعجاز" وفصل فيه حيث قال: إن الوجه الذي وقع به الإعجاز، وتحدو به العرب هو الإتيان بمثل نظم القرآن الكريم"[3]، حاول الجرجاني من خلاله التدليل على شرف القرآن وعلو منزلته في البيان، وأنه المعجزة التي لا تنقطع على مدى الدهور والأزمان، كيف لا، وهو تنزيل العليم الخبير، إذ جاء ليثبت فيه عجز العرب عن معارضة القرآن الكريم، والقرآن الكريم مؤلف من جنس كلام العرب ولغتهم، وقد نزل بلسان عربي مبين، وبهذا يصل إلى سر إعجاز القرآن الكريم وروعة بيانه ونظمه، بحيث لا يهتدي الخلق إلى الإتيان بكلام هو في نظمه وتأليفه على ذلك الوصف فالإعجاز عنده يأتي بالنظم، حيث يجعل سر إعجاز القرآن مرتبط بمعرفة أسرار النظم ودقائقه[4]، كما يناشد الذوق البلاغي لإدراك الإعجاز البلاغي، ويقف موقفا واضحًا من أنواع الدلالات على المعاني التي تتطلب العلم بأوضاع اللغة، حيث يركز دائما على أن الفصاحة في مزايا النظم وليست في الصواب وجهارة الصوت والانطلاق في القول وإستعمال الغريب الوحشي، كما أن التفاضل في الطريقة والنهج عليه، وبهذا كان الإعجاز القرآنية عنده ليس في الوزن أو في الألفاظ التي لم يألفها العرب.

---

[1] عبد الهادي بن ظافر:إستراتيجيات الخطاب، ص 322.

[2] ينظر: عباس حشاني:خطاب الحجاج والتداولية، ص 108.

[3] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 59.

[4] عبد القاهر الجرجاني:الرسالة الشافية في إعجاز القرآن الكريم، دار المأمون للتراث، ط1، 1998، ص 16.

بل في النسق اللغوي الذي يخضع لمنطق اللغة، ومن يعدم النظم يجهل الإعجاز الذي هو سمة من سمات القرآن، فيقول: "...فليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه.[1]

يبين عبد القاهر الجرجاني أن قضية إعجاز القرآن الكريم ليست بالأمر الهين الإلمام بها، فتفرد على المتحدث فيها أن يكون دقيقا، يتأتى أسلوبه بما يتناسب مع عظمة إعجاز القرآن الكريم، فإنه لابد أن يكون اللفظ ملائما للمعنى وأن يعطي لكل لفظة معناها لبيان مراد الخطاب، واستخدام الأسلوب الأقرب الفهم، يكون خال من التكلف والتعقيد، وهذا كما جاء في أسلوب الجرجاني في بيان عظمة كتاب الله وإظهار إعجازه، لقوله: "إعلم أن لكل نوع من المعنى نوعا من اللفظ هو به أخص وأولى وضروبا من العبارة هو بتأديته أقوم وأوضح، وهو فيه أجلى وأفصح ومأخذا إذا أخذ منه كان إلى الفهم أقرب، وبالقبول أخلق وأجدر، وكان السمع له أوعى، والنفس إليه أميل".[2]

فما دام الحديث عن القرآن الكريم، والقرآن مؤلف من كلام العرب ولغتهم وقد نزل بلسان عربي مبين، إذن فمن الحتم أن نقف على كلام العرب، الذي تعلق به القرآن ونزل به، ووقع فيه التحدي لنصل من وراء ذلك إلى سر إعجاز القرآن وروعة بيانه ونظمه، وخير ما يستعان به في تقريبه من الإفهام، وتقريره من النفوس، أن توضع له القواعد والقوانين المنظمة، وهذه القواعد والقوانين بمثابة الإشارات والدلائل يستعان بها للوقوف على مناط إعجاز القرآن الكريم، فما دام أن القرآن نزل بلغة العرب، فعلينا أن نقف على أسرارها والأسباب التي أدت إلى ارتقاءها، بعد ذلك يتبين لنا وجه إعجاز القرآن، وذلك بالوقوف على الخصائص والدلائل التي سمت بلغة العرب وجلتها ترتقي إلى هذا المرتقى لغة العرب .فيها الفصاحة والبيان تجلت في التقديم والتأخير، في القصر والوصل، في الحذف والوصل، في استعاراته وكناياته، وفي روعة تشبيهاته، وهذه السمات والدلائل هي التي ترشد إلى إعجاز القرآن، ومن خلالها يكشف وجه الإعجاز في القرآن والوصول إلى أسرار نظمه ودلائل إعجازه.[3]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 60.

[2] المصدر نفسه، ص 345.

[3] عبد القاهر الجرجاني: الرسالة الشافية في إعجاز القرآن، ص 22.

- **نظرية النظم:**

لقد تزعم عبد القاهر الجرجاني "قضية النظم" في إعجاز القرآن الكريم، وقد فصل القول فيها وعرضها عرضا مستفيضا، وانتقل بها من حيز الألفاظ إلى حيز المعاني. ويقول "بأنه لا يستطيع أحد أن يعرف إعجاز القرآن حتى يحسن تمييز أنواع النظم المختلفة ويحسن فهمها.[1]

ومن هنا يرى أن النظم قائما على مراعاة التلاؤم بين معاني الكلمات المفردة تلاؤما يساعد على أداء المعنى العام المقصود وبجمال وقوة، ويتم نظم هذه المعاني نظما متلائما بالاستعانة بعلم النحو، في معناه الواسع، فنحن لا نقدم ولا نؤخر في الكلام، أو نقوم بعمل فيه فنستعمل المعاني والقواعد النحوية إلاّ لتخدم المعنى وتحسن سبكه، فتجيد التلاؤم بين المعاني والألفاظ، فالنحو بمعناه الواسع إذن خادم لنظم المعاني وليس خادما للألفاظ، وقد قصر الإمام عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز على شرح هذه النظرية شرحا مفصلا، وعرفه بقوله: "إلم أن ليس النظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانيه، وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها"[2]، وبهذا استخدم عبد القاهر كلمة النظم بمفهومها أكثر دقة وثراء إذ أصبحت تعني عنده علم المعاني، أي معاني النحو، فهذه المعاني هي التي يترابط بها الكلام، ويتعلق بعضه ببعض تلعقا خاصا، حيث يرتب الكلمات وفقا لترتيب المعاني الأصلية والمعاني الإضافية في النفس، وقد أكد عبد القاهر عن ذلك من خلال الترتيب النحوي في المعنى.[3]

حيث دعا عبد القاهر في هذه النظرية إلى إعادة قراءة النصوص على ضوء فكرة تنظيم الكلمات وأسرار البلاغة عنده ليست في جوهرها إلا أسرار النظم، وجعل بعضها سبب من بعض وفقا لإمكانات صور الإسناد الكثيرة، فلكل صورة دلالتها الخاصة التي يختارها البليغ بحسب الأحوال وإختيار الصورة النحوية المناسبة للمقام، وبهذا يؤكد عبد القاهر أن النظم هو أن يضع الأديب كلامه الذي يقتضيه علم النحو وأن يعمل على قوانينه وأصوله فليس هناك شيء يقتضيه الناظم بنظمه عند أن ينظر في وجوده كل باب من أبواب التعبير النحوي.[4]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: الرسالة الشافية في إعجاز القرآن، ص 12.

[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز (في المعاني)، ص 60.

[3] عفة الشرقاوي: بلاغة العطف في القرآن الكريم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، (د .ط)، 1981، ص 19.

[4] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز (في المعاني)، ص 8-9.

وجاء في تعريف آخر للنظم بقوله بأنه "تعلق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، ويجعل وجوه التعلق ثلاث: تعلق اسم باسم، وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما، فيرى أن نظم الكلام يقتضي فيه آثار المعاني وترتبها حسب ترتيب المعاني في النفس.

حيث يشير إلى العلاقة بين النحو والنظم فيقول: "هذا كلام وجيز يطلع به الناظر على أصول النحو جملة، وكل ما به يكون النظم دفعة"[1]، ونفهم من كلامه هذا أنه لا يفرق بين معاني النحو والنظم، بل يجعل منها كلمتين مترادفتين لشيء واحد لقوله: "فليس النظم شيئا إلى توخي معاني النحو وأحكامه وجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم، وأنك قد تبينت أنه إذا رفع معاني النحو وأحكامه مما بين الكلم حتى لا تراد في جملة ولا تفصيل، خرجت الكلم المنطوق، ببغضها البعض في أثر بعض في البيت من الشعر، والفصل من النشر عن أن يكون لكونها في مواضعها التي وضعت فيها موجب ومقتضى."[2]

وبهذا يؤكد عبد القاهر أن جوهرا لنظم هو النحو في أحكامه لا من حيث الصحة والفساد فحسب، بل من حيث المزية والفضل، ولكي نستوثق من ذلك نسوق قوله: "فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلا وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه، ووضع في حقه، أو عوامل بخلاف هذه المعاملة فأزيل عن موضعه، واستعمل في غير ما ينبغي له، فلا ترى كلامًا قد وصف بصحة نظمُه أو فساده، أو وصف بمزية وفضل فيه إلاّ وكان مرجع تلك الصحة، وذلك الفساد، وتلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه، وإلاّ وجدت ذلك الوصف يدخل في أصل من أصول النحو، ويتصل بباب من أبوابه"[3]، ومن خلال هذا القول يتبين أن النظم والنحو مرتبطان ببعضهما البعض بحيث لا نستطيع فصل أحدهما عن الآخر أو فهمها دون الآخر.

ولمعرفة حقيقة النظم ومعناه ألفينا إلى التفريق بين نظم في الحروف والنظم في الكلام، فالنظم في الحروف لا يعتد به، ويحدد لهذا النظم أوصاف لا تتأتى من مجرد الضم كيفما اتفق فيقول: "فلو أن واضع اللغة قد قال (ربض) مكان (ضرب) لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد، أما نظم الكلام فليس الأمر فيه كذلك، لأنه تقتضي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز(في المعاني)، ص 7.

[2] المصدر ننفسه، ص 343.

[3] عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 1998، ص 382.

بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق"[1] ، ومن خلال هذا القول نستنتج أن النظم لا يتأتى في الحروف كما لا يتأتى في الكلمة المفردة، لأن وضعها في الكلام كله ودخولها في هذا النطاق هو الذي يحدد قيمتها، فلا تكون قيمة الكلمة ذاتية.

شرح عبد القاهر المراد بمعاني النحو في كتابه دلائل الإعجاز، ويستبعد أن تكون معاني النحو هي الإعراب إذ أن الإعراب لا دخل له في الفضل والمزية، إنما الفضل والمزية مردهما إلى الوصف الموجب للإعراب، وفي قوله: "و من هاهنا لم يجز إذا عدّ الوجوه التي تظهر بها المزية أن يُعد فيها الإعراب وذلك أن العلم بالإعراب مشترك بين العرب وليس هو مما يستنبط بالفكر، ويستعان عليه بالرؤية فليس أحدهم بأنّ إعراب الفاعل الرفع، أو المفعول النصب والمضاف إليه الجر بأعلى من غيره ولا أذاك المفعول به مما يحتاجون فيه إلى حدة الذهن، وقوة الخاطر، إنما الذي نقع الحاجة فيه إلى ذلك العلم بما يجب الفاعلية للشيء إذا كان إيجابها عن طريق المجاز في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ سورة البقرة: الآية: 16، وأشباه ذلك مما يجعل الشيء فاعلا على تأويل يدق، ومن طرق التلفظ ليس يكون هذا لكن بالوصف الموجب للإعراب"[2]، وبمعنى هذا القول أن الإعراب ليس من جملة المزايا، وإنما يتعلق بالكلام من حيث الصحة والفساد، والاستعمال والقول، ولا يدخل في مسلك الفصاحة والفضيلة.

وفي موضع آخر ترى عبد القاهر يوضح معاني النحو بأنها ليست في الإعراب، ولا في معرفة القواعد النحوية، وإنما في معرفة مدلول العبارات، ويبين ذلك في قوله: "لأنه يعرف الفرق بين أن يقول جاءني زيد راكبا وقوله جاءني زيد الراكب، ولا يضره يجهل عبارة النحويين بأن يقولوا في (راكب) إنه حال، وإذا قال (الراكب) كان صفة جارية على زيد، ولأنه يعرف في قولهم زيد منطلق أن زيدا مخبر عنه ومنطلق خبر، ولا يضره أن لا يعلم أن نسمى زيدا مبتدأ أو هكذا"[3]، ومن هذا القول نلاحظ أن عبد القاهر لا يفسر معاني النحو بأنها إعراب الكلمات أو حركات الإعراب وإنما المراد به المعنى الذي يفهم من الكلمات فيحتم هذا الفهم أن يكون هذا مبتدأ، وهذا خير، أو هذه حالا وتلك صفة.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: ادلائل الإعجاز في المعاني، ص 42.

[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في المعاني، ص 203.

[3] المصدر نفسه، ص 266.

– اللفظ والمعنى:

إن اللفظ والمعنى من القضايا التي شغلت بال العلماء السابقين وقد أولوها العناية التامة ودرسوا اللفظ مستقلا عن المعنى، وبعضهم إنحاز إلى جهة اللفظ، وقد أقاموا حججا وأدلة تبرر موقفهم والبعض الآخر رأى تعانق اللفظ بالمعنى[1]، ومن بين العلماء الذين اِهتموا باللفظ والمعنى عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز بحيث ثار ضد الدين فصلوا بين اللفظ والمعنى وضد المنحازين إلى جهة اللفظ وفي هذا يقول الجرجاني: واعلم أن الدّاء الدّوي والذي أعي أمره في هذا الباب، غلط من قدّم الشعر بمعناه، وأقل الاحتفال باللفظ، وجعل لا يعطيه من المزية إن هو أعطى إلا ما فضل عن المعنى يقول: "ما في اللفظ لولا المعنى؟ وهل الكلام إلا بمعناه؟"، فأنت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد أودع حكمة وأدبا، واِشتمل على تشبيه ومعنى نادر"[2]، من خلال هذا القول نجد أن الجرجاني يؤكد على ثنائية اللفظ والمعنى، وفي موضع آخر نجده يؤكد أن الاعتبار في هذا المجال بمعرفة مدلول العبارات لا بمعرفة العبارات، إذ نجده يقول: فإذا عرف البدوي الغرق بين أن يقول: "يعرف أنه إذا قال: (راكبا)،كانت عبارة النحويين فيه أن يقولوا في (راكب) (إنه حال)، وإذا قال: "الراكب"، أنه صفة جارية على "زيد" وإذا عرف في قوله: "زيد منطلق" أن "زيدًا" مخبر عنه، "ومنطلق" خبر، لم يضرّه أن يعلم أنّا نسمّي "زيدا" مبتدأ وإذا عرف قولنا "ضربته تأديبا له" أن المعنى في التأديب أنه غرض من الضرب، وأنه ضرب ليتأدب، لم يضرّه أن لا يعلم أن نسمي "التأديب مفعولا".[3]

ومن جانب آخر يرى عبد القاهر أن الدلالة لا يمكن أن نستخلص من اللفظة المفردة بل من المعنى المتحصل عليه من مجموع السياقات وبهذا لا يمكن أن تكون الكلمة أبسط عنصر لغوي ذي دلالة، لأن الدلالة حالة نفسية لا يمكن تجزئتها[4]، فالجرجاني من خلال هذا الكلام ينظر إلى الخطاب ككل متكامل لا يمكن فصل الجانب اللغوي فيه عن المقام الذي يرد فيه وبذلك يتعاضد السياق اللغوي وسياق الحال على إبراز الدلالة وفهم مقاصد الكلام إذ أن دراسة الأنماط النحوية للجملة خارج السياق الكلامي غير كافية لتبيان وظيفة اللغة في التواصل، وهذا يعني أنه يجب دراسة كيف تحمل الأنماط النحوية للجملة فائدة للسامع هذا من جهة أما من جهة أخرى، فتتجلى هذه الفائدة في حصوله على شيء جديد حين يردك غرض المتكلم من كلامه وذلك حسب السياق أو

---

[1] صالح بلعيد: نظرية النظم، ص 138.

[2] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 166.

[3] المصدر نفسه، ص 266.

[4] مسعود بودوخة:السياق والدلالة، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة الجزائر، ط1، 2012، ص 109.

المقام الذي يرد فيه، وبالتالي يحتل مفهوم المقام مكانة مهيمنة في المنظومة الإجرائية للتحليل التداولي للخطاب حيث يمكن القول أن التداولية بصفة عامة جاءت لتعيد الاعتبار لأهمية المقام في دراسة اللغة والكلام.

– الأفعال الكلامية:

اِرتبط مفهوم الأفعال الكلامية بجون أوستين، وما يعنيه هذا المفهوم هو فاعلية وإنجازية performative بعض الأفعال في اللغة المستعملة، أو قلما يستعمله اللسان ويسخره في التخاطب[1] بهذه الأفعال، وبهذا أصبح مفهوم الفعل الكلامي speehaif نواة مركزية في كثير من الأعمال التداولية وفحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيره، وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا نحو يتوسل أفعال قولية لتحقيق أغراض إنجازية: الطلب والأمر والوعد والوعيد...الخ، وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول ومن ثم يطمح لأن يكون فعلا تأثيريا، أي يطمح إلى أن يكون ذا تأثير في المخاطب اِجتماعيا، أو مؤسساتيا، ومن ثم يكون إنجاز شيء ما.[2]

إن أوستين بهذا الدرس الخصب لكل ما يحيط بالعملية التواصلية لحظة استعمال اللغة إلى النتيجة، ووصف الظاهرة اللغوية التواصلية، بتأسيسه اللسانيات التداولية والأفعال الكلامية، وبهذا تعد نظرية الأفعال الكلامية من أهم المحاور التداولية المعاصرة حيث إنّ صاحبها يعطي مكانة كبيرة لدور اللغة وأفعالها الكلامية في صنع الأحداث ونقل المعنيين من مستوى التلقي إلى مسارح الفعل والتجسيد، كما يستخدم مصطلح فعل الكلام الذي يدل على النظرية التي تعنى بتحليل دور الملفوظات في علاقتها بسلوك المتكلم والسامع في عملية التواصل المشترك يجعل الكلام نشاط تواصلي يقوم به المتكلم بقصد، وما نتج عن فعل الكلام أي آثاره أو أثره على السامع.[3]

– أنواع الأفعال الكلامية:

وقد قسم أوستين الأفعال الكلامية إلى أنواع وردت على تسميات مختلفة في الكتب اللسانية:

---

[1] عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص 102.

[2] مسعود صحراوي:التداولية عند العلماء العرب، ص 44.

[3] عباس حشاني:خطاب الحجاج والتداولية، ص 102.

1- فعل القول أو فعل الكلام: وهو إنجاز فعل التلفظ بأصوات في مخارج خاصة أي هو فعل صوتي، ذات أن اللفظ إحداث صوت على صورة معلومة وتنتمي الأصوات المحدثة إلى معجم وهي تنتظم في الكلام بحسب قواعد اللغة والألفاظ عندما تندرج في عبارة يظهر الفعل اللفظي.

2- في أثناء القول أو قوة فعل الكلام: عند النطق بعبارة لا يقوم المتكلم بفعل القول فقط، بل هو يُخبر أو يحذّر أو ينصح.

3- الفعل بالقول أو لازم فعل الكلام: وهو ما يحدث من آثار في مشاعر المتلقي، وأفكاره وأفعاله كالإقناع أو الإبعاد...الخ.[1]

تناول النحاة العرب العديد من الظواهر الأسلوبية وبحثوا في الإفادات والمقاصد الإبلاغية المترتبة عنها من أبرز من اِهتم من نحاتنا بهذه المباحث التداولية الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز وكان يصر على أن تلك المعاني والإفادات والأغراض التواصلية التي هي بصدد دراستها وتحليلها إنما هي معاني النحو وليست شيئا آخر غير ذلك، فهو جمع بين النحو وعلم المعاني في إطار معرفي ومنهجي واحد ومن أهم ما أفاض فيه عبد القاهر مسألة الأغراض والمقاصد المتفرعة عن تلك، التراكيب النحوية كأغراض التقديم والتأخير في الإسناد فقد يلجأ المتكلم إلى تغيير مواقع عناصر التركيب لأغراض وغايات تداولية يريد تحقيقها بالإضافة إلى أنه يسعى إلى جعل خطابه يستجيب لحال مخاطبه، لتحقيق التفاعل والانسجام ومما ذكره عبد القاهر تقديم المسند والمسند إليه في قوله:" مثلا أنا أعطيك أنا أكفيك"، وفي قوله كذلك في المدح: " أنت تجود حين لا يجود أحد"، كما اهتم بالبحث في معاني الأساليب وأغراضها التواصلية فجعلها أساسا معرفيا في تحليله النحوي ومن معاني الأساليب النحوية وأغراضها التواصلية التي ركّز عليها الجرجاني هي: التأكيد وهو معنى مستفاد من صيغ وأساليب لغوية معينة معروفة في العربية وغرض تواصلي يستخدمه المتكلم ليثبت الشيء في نفس المخاطب وإزالة ما علق بها من شكوك وإماطة ما خلجها من شبوهات.

- الحجاج:

لقد ورد لفظ الحجاج في عدة آيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾آل عمران: 66، ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ

[1] محمد كريم كواز: البلاغة والنقد، مؤسسة الإنتشار العربي، ط1، 2006، ص 286-287.

أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾سورة الأنعام: 80

ويعتبر الحجاج من أهم مرتكزات التحليل التداولي وتعرف الحجة على أنها عبارة عن ملفوظ يستعمل بغرض إقناع المتلقي بقبول ملفوظ آخر والحجة فكرة وليست حدثا فالحجة في أبسط تعريفاتها عبارة عن ملفوظ تستعمل لإقناع المتلقي بفكرة أخرى إذ تتطلب صياغة وأسلوب خاص[1]، كما يقدم برلمان تعريفا للحجاج بقوله أنه حمل المتلقي على الاقتناع بما نعرضه عليه أو الزيادة في حمل هذا الاقتناع.[2]

فالحجاج بالمعنى العادي هو طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع فيكون الخطاب بذلك ناجعا فعالا غير أنه ليس معيارًا كافيا إذا يجب ألا تهمل طبيعة السامع المستهدف من هذا الحجاج فنجاح الخطاب يكمن في مدى مناسبته لسامع ،ومدى قدرة التقنيات الحجاجية المستخدمة في إقناعه.[3]

لقد تناول عبد القاهر الجرجاني الحجاج في كتابه دلائل الإعجاز ويظهر ذلك في خطابه الذي بنى وفقه مقاصده التي عرض فيها توجهه في نظرية المعنى، مستعملا الحجة في دفاع عن مقاصده من الخطاب وهو قصد إتجه به إلى المخاطب[4] ، من أجل حصول الإقناع، ونظرا لأهمية الحجاج في الخطاب فإنه يعد الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها، وتتجسد عبر إستراتيجية الإقناع.[5]

وهكذا فإن الإقناع أن العملية الحجاجية باعتباره أثرا مستقبليا يتحقق بعد التلفظ بالخطاب، ويستهدف إتصالا لا يتعدى جانب التلفظ ليكون متعلقا بالأذهان.

فالحجاج إذن هو من أساسيات الإقناع في الخطاب فالجرجاني في خطابه هو المدّعي والمدلل، أما الذي يوجه إليه الكلام فهو متلق أو معترض لهذا قام خطابه على افتراض جدل و محاورة بينه وبين معترضيه، إذ ينقسم الحجاج إلى عدة أقسام منها: حجاج توجيهي وحجاج تقويمي[6]، ويقوم في الخطابات التي تتصل بالغاية الإقناعية من أجل قبول القصدية التي يستهدفها المخاطب في الخطاب، كما يقوم بسبب وجود باعث معين، وهو ما جعل منشئ

---

(1) محمود طلعة: تداولية الخطاب السردي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص 46.

(2) عباس حسّاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص 63.

(3) عباس حساني: خطاب الحجاج والتداولية، ص 62.

(4) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص 473.

(5) المرجع السابق، ص 456.

(6) ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص 465.

الخطاب يرتهن إلى توظيف ثلاث أنماط من القصدية، الغرض التعليمي والغرض الحجاجي والغرض الأخلاقي ويظهر الحجاج في خطاب الجرجاني خلال العبارات التي تدور في خطابه عامة نذكر منها فإن قلب، فإن قلت، قبل لك، وليس يتصور مثل ذلك، لأنه فإذا عرفت فهاهنا ومثال ذلك في قوله: فإن قلت: هل كان يجوز أن يعطف قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ البقرة 15 على "قالوا" ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾البقرة: 14،

قيل ينفيه ما بعده من قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ النساء: 171.[1]

كما تظهر ملامح الحجاج في خطاب الجرجاني أيضا استعماله لفعل الأمر و"اعلم" من مثل قوله: واعلم أنهم لم يعيبوا تقديم الكلام بمعناه من حيث جهلوا أن المعنى إذا كان أدبا وحكمة وكان غريبا نادرًا، فهو أشرف مما ليس كذلك، بل عابوه من حيث كان من حكم من قضى في جنس من الأجناس بفضل أو نقص أن لا يعتبر في قضيته تلك إلا الأوصاف التي تخص ذلك الجنس وترجع إلى حقيقته، وأن لا ينظر فيها إلى جنس آخر، وإن كان من الأول بسبيل أو متصلا به اتصالا ما لا ينفعك منه.[2]

– فجاء بفعل الأمر "اِعلم" وذلك من نجاح عملية تواصله مع سامعه، ويطمئن على خطابه قد بلغ من الإقناع مبلغا.

فالحجاج إذن هو الركيزة الأساسية في عملية التواصل، إذ يمثل أحد أركان التداولية إلى جانب نظرية الأفعال اللغوية، حيث يعتمد عليه في دراسة البحوث التداولية، وذلك كونها نظرية دلالية تدمج مظاهر التلفظ، فالتداولية تعنى بوظيفة الاستعمال اللغوي، ونظرية التواصل، وبالتالي فالتداولية تعمل على تحليل الخطاب الحجاجي بالنظر إلى وسائله، وإلى المتكلم، ومقصده إلى السامع.[3]

– السياق عند الجرجاني:

إن نظرية النظم عند الجرجاني ما هي إلا تنظير لفكرة المقام السالفة ومحاولة لرصد مختلف السياقات هذا الأخير الذي يعتبر آية لدراسة تحليل الخطاب وإعادة وضع الملفوظ في سياقه الأصلي لدرجة أصبح معه تحليل

[1] عبد القاهر الجرجاني: الإعجاز، ص 155.

[2] المصدر السابق، ص 168.

[3] ينظر: صابر الحباشة، التداولية والحجاج، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص16.

الخطاب كاتجاه جديد يتخذ من ربط الملفوظ بالمقام كسمة أساسية له[1]، كما يعتبر السياق من العناصر المهمة في عملية التواصل ويتميز بخصائص تتصل بوضعية الخطاب بصفة مباشرة وتتضح قيمته أيضا في خطى التأليف والكتابة بشكل عام ونظرا لأهميته فإنه يضطلع في أدوار كثيرة في التفاعل الخطابي[2]. فعبد القاهر الجرجاني يرى أنه لا يمكن للفصاحة أن توصف بها الكلمة مفردة إلا ضمن مجموع السياق الذي ترد فيه وفي هذا الصدد يقولك ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجري مجراها، مما يفرد بيه اللفظ بالنعت والصفة وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة"[3]، وفي موضع آخر يؤكد الجرجاني أن لا مضي لتفاضل الكلمات من غير النظر إلى السياق الذي وردت فيه فيقول: وهل يقع في وهم وإن جهد، أن تتفاضل الكلمات المفردتان، من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم، بأكثر من أن تكون هذه مألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية، أو أن تكون حروف هذه أخفّ وامتزاجها أحسن، ومما يكدّ اللسان أبعد، وهل تجد أحدا يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانستها لأخواتها؟ "[4]، من خلال هذا نجد أن السياق العام هو الذي يحكم للفظة بالفصاحة أو بخلافها.

– القصد (الغرض):

يراد به في تصور نحاتنا القدامى الغاية التواصلية التي يريد المتكلم تحقيقها من الخطاب وقصده منه، وعليه تكون مراعاة الغرض من الكلام في عرف أغلب النحاة، قرينة تساعدهم في تحديد الوظيفة النحوية للكلمة وبيان دورها في التحليل النحوي للجملة، وهي المعاني التي تعارف عليها المعاصرون باسم القصدية، وقد اعتمد النحاة العرب ولاسيما الوظيفيين على مبدأ مراعاة غرض المتكلم من كلامه بوصفه قرينة تداولية قوية في الدراسات اللغوية[5]، وقد وجدنا عبد القاهر الجرجاني يعتمد على الغرض أو القصد، ويوظفه ويدافع عنه في فهم الجمل والتراكيب اللغوية، ولاسيما آيات القرآن الكريم، إذ وجدناه يوظفه أحيانا في بيان الخطأ أولئك الذين يخطئون في فهم الخطاب بسبب إهمال الغرض من الخطاب أو عدم الالتفات إليه، وقد اشترط عبد القاهر في كتابه الإعجاز

---

(1) فريدة موساوي: المفاهيم الأساسية في تحليل الخطاب، عالم الكتب للنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، ط2، 2010، ص 82.

(2) عبد الهادي بن ظافر: إستراتيجيات الخطاب، ص 40.

(3) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 38.

(4) مصدر نفسه، ص 39.

(5) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيرت، لبنان، ط1، 2005، ص 201.

معرفة غرض المتكلم وقصده في تحديد بعض الوظائف النحوية لاسيما المسند والمسند إليه في كثير من الشواهد العربية إذ نذكر على سبيل المثال قول أبي تمام: الطويل

لُعَابُ الأَفَاعِي القَاتِلاَتِ لُعابُهُ وَأَرْي الجَنَى اشْتَرَتْهُ أَيدٍ عَوَاسِلُ [1]

فحلله البعض فساوى بين لفظتين لعاب الأفاعي ولعابه في الوظيفة الإسنادية، أما تحليل عبد القاهر الجرجاني فقد اِعتمد على غرض المتكلم وقصده، موضحا أن غرض المتكلم، أن يشبه مداد قلمه بلعاب الأفاعي، وكذلك الغرض أن يشبه مداد بأري الجنى على معنى أنه إذا كتب في العطايا والصلات أوصل به إلى النفوس ما تحلو مذاقه عندها، وهذا المعنى إنما يكون إذا كان لعابه مبتدأ ولعاب الأفاعي خبر، أما أن يكون لعاب الأفاعي مبتدأ ولعابه خبر، فلا يجوز أن يكون في غرض أبي تمام، وهو أراد التشبيه، لعاب الأفاعي والأري بالمداد.[2]

فمن شروط المتكلم البليغ فهم الغرض من الكلام ومراعاة قصد المتكلم وحال السامع، وإلا كان تحليل الجملة خطأ، وبناءا على هذا ذهب عبد القاهر إلى تقديم اِسم الله تعالى في أسلوبه[3] في الآية الكريمة ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾فاطر: 28.

كان لغرض بيان الخاشين من هم؟ ويخبر بأنهم العلماء دون غيرهم، ولو أخر ذكر اِسم الله وتقدم العلماء فقيل: " إنما يخشى العلماء الله" لصار المعنى ضد ما هو الآن وصار الغرض بيان المخشي من هو؟ والإخبار بأنه الله تعالى دون غيره، ولم يجب حينئذ أن تكون الخشية من الله تعالى مقصورة على العلماء، وأن يكونوا مخصوصين بها كما هو الغرض في الآية بل كان المعنى أن غير العلماء يخشون الله تعالى أيضا.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 240.

[2] المصدر نفسه، ص 240.

[3] المصدر نفسه ، ص 222.

2- مصطلحات الخطاب:

1- أدوات النحوية:

أ- التوكيد:

في بداية حديث عبد القاهر عن التوكيد أشار إلى أن هناك فروقا خفية يجهلها العامة وكثير من الخاصة، بل يجهلونها في موضع ويعرفونها في آخر، والسبب راجع في ذلك إلى عدم معرفتهم بها موضحا ذلك في قوله: ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العبّاس وقال له: "إني لأجد في كلام العرب حشوا ! فقال له أبو العبّاس في أي موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: "عبد الله قائم" ثم يقولون "إن عبد الله قائم" ثم يقولون: إنّ عبد الله لقائم"، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد، فقال أبو العبّاس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ فقوله "عبد الله قائم" إخبار عن قيامه وقولهم: "إن عبد الله قائم" جواب عن سؤال سائل، وقولهم "إن عبد الله لقائم" جواب عن إنكار منكر قيامه فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني.[1]

إن الكندي لو أمعن النظر وتصفح وتتبع مواقع "إنّ" لعلم أن المعنى يختلف إذا دخلت إن على الجملة أو عدم دخولها على الجملة يجعلها مترابطة ومؤلفة ومتحدة العناصر، إذ نجد من خصائص "إنّ" اِرتباطها بضمير الشأن والأمر مما يجعل الحسن واللطف فيها واضحا وجليّا بحث تعمل على تهييء النكرة وإصلاحها شريطة أن تبتدئ بها الجملة من مثل:

إنّ شواءا ونشوة وخَبَبَ البازل الأمونِ[2]

فإذا حذفنا "إنّ" جاءت الجملة كما يلي:

سَواء ونشوة وخبب البازل الأمون

فإذا كانت النكرة موصوفة، يصلح أن تبتدأ بـ "إنّ" مما يجعل المعنى أوضح وأحسن، أما إذا أسقطت "إنّ" من الجملة فإن المعنى يصبح ناقص وغير مكتمل وفي هذا الشأن يقول الجرجاني: "هذا باب ما يحسن عليه السكون في هذه الأحرف الخمسة، لإضمارك ما يكون مستقرا لها وموضعا لو أظهرته، وليس هذا المضمر بنفس المظهر،

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 206.

[2] المصدر نفسه، ص 209.

وذلك: "إنّ مالا" و"إن ولدًا" و"إنّ عددًا"، أي "إن لهم مالاً" [1]، فالذي أُضمر هنا هو الضمير "لهم" وبالتالي تكون إنّ السبب في حذف الذي حذف من الخبر، لأنها تعتبر المترجم عنه والمتكفل به، هذا من جهة أمّا أما من جهة أخرى فيرى الجرجاني اِرتباط "الفاء" بعد إسقاط" إنّ" من الجملة لا يكون في كل شيء وكل موضع، بل إنه يكون موضع دون آخر وفي حال دون حال، فهو في هذا الصدد يقول: "اِعم أنّ الذي قلنا في "إنّ" من أنها تدخل على الجملة من شأنها إذا هي أسقطت منها أن يحتاج فيها إلى الفاء لا تطرد كل شيء وكل موضع، بل يكون في موضع دون موضع وفي حال دون حال".[2]

كما تقع "إنّ" جواب سائل إذا كانت وحدها وجواب منكر إذا كان معها اللام ونضرب مثلا على هذا من قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (83) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ الكهف: 83-84، وقوله أيضا: ﴿ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ الشعراء:216، وقوله أيضا: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾الأنعام: 56.

أما إذا جمع بينها وبين "اللام" من مثل" إن عبد الله قائم" كان الكلام هنا موجه إلى المنكر، إذ كانت حاجته للتأكيد أشد حتى يتمكن التأثر في المتلقي.

"إنَّما":

إنَّ عبد القاهر في موضع حديثه عن "إنّما" يَرُد على بعض النحويين الذين يزعمون أنّ "ما" تمنع "إنّ" من العمل لأن "إنّما" تأتي إثباتا لما يذكر بعدها، إذ يرى الجرجاني أنه ليس كل كلام يصلح فيه "ما" و"إلا" يصلح فيه "إنما" إذ نجد أن ما وإلا لا تصلح في ضرب من الكلام مع "إنما" من مثل: إنما هو درهم لا دينار[3] ، فلو قلت "ما هو إلا درهم لا دينار" لم يكن المعنى نفسه في المثال الأول إذ كان تأكيدا منه أنه درهم وليس دينار وبالتالي جعلوا إنّما في معنى "ما" و"إلا".

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 206.

[2] مصدر نفسه، ص 211.

[3] مصدر نفسه ، ص 216.

من مواضع "إنّما" نجد: أنها يجيء لخبر لا يجهله المخاطب مثل: "إنما هو أخوك" و"إنما هو صاحبك القديم" [1] فهذا الكلام موجه لمن يعلمه ويقربه فقد كان قصده من ذلك تنبيه السامع وتذكيره لما يجب عليه من حق الأخوة وحرمة الصاحب.

أمّا الخبر بالنفي والإثبات فيكون لأمر ينكره المخاطب ويشك فيه من مثل" ما هو إلا زيد"، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22) إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾فاطر: 22-23، فالمعنى جاء بالنفي والإثبات إذ يكون واضحا في المثال الثاني أكثر فالنبي صلى الله عليه وسلم لن يستطيع أن يحوّل قلوبهم عما هي عليه وليس بإمكانه أن يوقع الإيمان في نفوسهم مع إسرارهم على الكفر والجهل وفي موضع آخر يوضح عبد القاهر أنها تفيد إيجاب الفعل ونفيه عن غيره، فإذا قلت "إنما جاء في زيد" نفهم من المثال الذي بين أيدينا أن الشخص الذي جاء هو زيد وليس أحد آخر فمعنى الكلام هنا شبيه بالمعنى في قوله: "جاءني زيد لا عمرو"[2] ، "فلا" العاطفة تنفي عن الثاني ما وجب للأول فليس المقصود أن يكون عمر وقد شارك زيد في فعل المجيء وبالتالي فإن" لا" العاطفة تأتي بمعنى "إنّما" فإذا قلت "إنما جاء في زيد" يكون القصد من هذا الكلام أن زيدا هو الذي جاء وليس عمر ومن جانب آخر يبين عبد القاهر حكم "ما" و"إلا" فقول: "اِعلم أنك إذا قلت": "ما جاءني إلا زيد"" اِحتمل أمرين:

- أولهما يريد اِختصاص المجيء بزيد وأن ينفيه، عمن سواه لأن المخاطب بحاجة إلى أن يعلم أن "زيد" قد جاء وليس شخصا آخر.
- ثانيهما: أن يريد بإنّما كلاما تقوله ليُعلم أن الذي جاء "زيد" لا غيره.[3]

فإذا كان الكلام "بما" و"إلا" كان الاختصاص في الخبر إن لم تقدمه وفي المبتدأ إن تقدم الخبر عليه، مثل: "ما زيد قائم" يكون التخصيص "بالقيام" أما إذا قلت: "ما قائم إلا زيد" يكون التخصيص لزيد بكونه موصوفا بالقيام.

يتحدث عبد القاهر في موضع آخر أن النفي يتقدم تارة ويتأخر أخرى إذا أعطى مثلا على ذلك للتأخير فيقول: "إنما جاءني زيد لا عمر"، وقوله تعالى: "إنما أنت مذكّر، ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 216.

[2] مصدر نفسه ، ص 220.

[3] مصدر نفسه ، ص 221.

بِمُسَيْطِرٍ﴾ الغاشية: 21-22، ومثال آخر للتقديم فقال: ما جاءني زيد، وإنما جاء ني عمرو" فهنا أخبر أن الذي لم يأتي زيد مقدما ذلك في إخباره أن الذي جاء عمر ولا زيد.

كما يوضح السبب من التعريض إنما يقع من شأن "إنما" لأنها تضمن للكلام معنى النفي من بعد الإثبات والتصريح نذكر على سبيل المثال: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾الرعد: 19، كان مجرد وصف لأولي الألباب بأنهم يتذكرون ولم يكن المعنى فيه نفي للتذكير ومحال أن يقع تعريض لشيء له في الكلام ذكر ولا فيه دليل يدل عليه.

كما ينظر الجرجاني في الحروف التي تشترك في المعنى، ثم يفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كل واحد في معناها الخاص، مثل: أن يجيء بـ"ما" في نفي الحال وبـ"لا" إذا أراد نفي الاستقبال، وبـ "إنّ" فيما يترجّح بين أن يكون وأن لا يكون، وبـ "إذا" فيما عُلم أنه كائن، وينظر في الجمل التي تُسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل، ثم يَعرف فيما حقه الوصل موضع (الواو) من موضع (الفاء)، وموضع (الفاء)، من موضع (ثم) وموضع (أو) من موضع (أم) وموضع (لكن) من موضع (بل) ويتصرف في التعريف والتنكير والتقديم والتأخير في الكلام كلّه.

من الأسماء الموصولة التي اِستعملها عبد القاهر في كتابه دلائل الإعجاز الاِسم الموصول "الذي" والذي خاصه دون غيره من الأسماء الموصولة التي يجب ربطه بجملة من الكلام قد سبق للسامع مع العلْمُ بها وأمر قد عرفه له إذ يعد "الذي" وصفا للشيء فيكون المعنى قوله "إنه اِجتلب ليتوصل به إلى المعارف بالجميل، وقد وضّح الجرجاني الفروق الدقيقة بين التعبير بالاسم الموصول والتعبير بدونه، أن الاسم الموصول قد اِجتلب، لأن السامع يعرف ما وقع بعده من صلة، ولولا ذلك ما صح اجتلاب "الذي"، فكون المخاطب يعلم ما يخبر به أو يجهله هو الذي يحدد شكل التعبير فيصح وضع الاسم الموصول "الذي" في الجملة أو لا يصح.

إن عبد القاهر يفرق بين الخبر بالجملة مع "الذي" وبينها مع غير الذي ففي هذا الموضع يقول: "لا يشك عاقل أن ليس المعنى في قولك: هذا الذي قدم رسولٌ كالمعنى إذا قلت: قدم رسول من الحضرة وليس ذاك إلا أنك في قولك هذا قدم رسول من الحضرة، مبتدئ بخبر بأمر لم يبلغ السامع ولم يبلغه ولم يعلمه.

ب- التقديم والتأخير:

لقد عالج عبد القاهر مسألة التقديم والتأخير بمراعاة معاني النحو وأحكامه والسبب يعود إلى مواقع الكلمات في طريقة النظم في قوله: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن

بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعر يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك عندك، أن قدم فيه شيء، وحوّل اللفظ من مكان إلى آخر".[1]ونفهم من هذا أن سر إفادة التقديم لا من أجل التقديم بقدر ما هي تفيد التقوية لا الأهمية...ينبغي أن يعرف في كل شيء قدم في موضع من الكلام مثل هذا المعنى ويفسر وجه العناية فيه هذا التفسير. وعندئذ لا يكتفي أن يقال: "إنه قدم للعناية، ولأن ذكره أهم، من غير أن يذكر من أين كانت تلك العناية، وبم كان أهم؟ ولتخيلهم ذلك قد صغر أمر التقديم والتأخير في نفوسهم وهونوا الخطب فيه، حتى إنك لترى أكثرهم يرى تتبعه، والنظر فيه ضربا من التكلف".[2] فتقديم المسند إليه على الفعل يفيد تقوية الحكم وتوكيده لا أهميته، كقوله: جاءت زينب، مخالف: زينب جاءت ونحويا يفيد تغيير المعنى النحو من حال إلى حال، فالأول يفيد الإعلام عن خبر مبتدأ لا يعلمه السامع، والثاني عن خبر غير مجهول، وإنما يجهل بعض حيثياته، كما أن التقديم يستعمل للاختصاص ومراعاة نظم الكلام،[3] ومن أهم أغراض التقديم والتأخير فيها يقول إن التقديم على وجهين:

1- تقديم على نية التأخير: وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه، وفيه جنسه الذي كان فيه، كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل، كقولك: منطلق زيد/وضرب عمرا زيد.

2- تقديم لا على نية التأخير: وفيه أن تنقل الشيء من حكم إلى حكم، وتجعله بابا غير بابه وإعرابا غير إعرابه، وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبرا له: ضربت زيدا وزيدا ضربه، لم تقدم زيدا على أن يكون مفعولا منصوبا بالفعل كما كان، ولكن على أن ترفعه بالابتداء وتشغل الفعل بضميره، وتجعله في موضع الخبر له[4]، ونلاحظ من قوله أنه يعول على تغير المعاني والألفاظ بما لها من دليل على أن الترتيب في المعاني، والاعتبار بمعرفة مدلول العبارات النحوية لا بمعرفة العبارات نفسها، ومن كل هذا فهو يركز على المعاني النحوية ويتشدد في مسألة النحو وهو عمدة فهم كتاب الله.

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، (في علم المعاني)، ص 76-77.

[2] مصدر نفسه، ص 78.

[3] صالح بلعيد: نظرية النظم، دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، ط3، 2009، ص 136.

[4] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز،(في المعاني)، ص 77.

– كما يذهب الجرجاني إلى التقديم والتأخير مع الخبر المثبت فيكون في نفس المعنى من تقديم الفعل أو الاسم مع همزة الاستفهام ومع النفي قائم في الخبر المثبت فيقول: "إعلم أن هذا الذي بان لك في الاستفهام، والنفي من المعنى في التقديم، قائم مثله في الخبر المثبت.

ثم بين هذا المعنى في التقديم مع الخبر المثبت قائلا: فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تتحدث عنه بفعل فقدمت ذكره، ثم بنيت الفعل عليه فقلت أزيد قد فعل وأنا فعلت، وأنت فعلت اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل".[1]

قد يلجأ المتكلم إلى تغيير مواقع عناصر التركيب لأغراض بلاغية يريد تحقيقها بالإضافة إلى أنه يسعى إلى جعل خطابه يستجيب لحال مخاطبه لتحقيق التفاعل والانسجام ومن بين العناصر نجد تقديم المسند إليه إنما يكون لإفادة التأكيد والقوة وأكثر ما نجده في الوعد والضمان لأن من تعده وتضمن له من شأنه أن يعترضه الشك في تمام الوعد كما يكثر تقديم المسند غليه في المدح كقولهم: أنت تجود حين لا يجود أحد لأن المادح عليه أن يمنع تسرب الشك فيما يمدح به، ومما يفيد تقديم الاسم (المسند إليه) أيضا التخصيص كما في قوله تعالى: اللَّهُ ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ الرعد: 27، أي أن الله وحده هو الذي يبسط الرزق ويقدر دون غيره، كما يقدم المتكلم المسند في كلامه لغرض تخصيصه بالمسند إليه، أي قصر المسند إليه المؤخر على المسند.

2– الأساليب البيانية:

1– الكناية:

تعد الكناية من أنواع المجاز الحجاجية ويكمن هذا في الرمز الذي تنشئه فهي احتجاج لقضية عن طريق الرمز وهو ما أخفي من الكلام، وأصله الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم".[2] وما يثبت حجاجيتها مراد المتكلم من الرمز والمراد بالكناية أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه"، وقد أعطى الجرجاني مثالا على ذلك ومن ذلك قولهم "هو طويل النجاد" والمقصود من هذا الكلام طول القامة و"كثير رماد القدر"[3] والمراد منه كثير القرى ومنه

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز،(في المعاني)، ، ص 89.

[2] عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2013، ص 288.

[3] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز،(في المعاني)، ، ص 51.

نجد أن المراد من هذه الأمثلة إنما هو المعنى الذي لم يذكر بلفظه وإنما عُبّر عنه بمعنى آخر من شأنه أن يكون مراد فا له، إذ ليست المزية هنا تكمن في نفس المعنى الذي يقصده المتكلم بخبره وإنما في طريقة إثباته وتقريره للمعنى المراد التعبير عنه وهو ما قصده الجرجاني بقوله: أن ليس المعنى إذا قلنا "إن الكناية أبلغ من التصريح"[1] أنك كنيت عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته فجعلته أبلغ وأشد فليست المزية في قوله: "جمّ الرماد" أنه دلّ قِرَى أكثر بل أنت فليست المزية في قوله: "جم الرماد" هو أبلغ وأوجبته إيجابا هو أشد وأود عينه دعوى أنت بها أنطق وبصحتها أوثق.

تفيد تداولية الكناية العلاقة التي تكون بين المعنى الذي يقصده المتكلم والمتلقي الذي يوجّه إليه هذا المعنى، حيث يقسم الكناية إلى ثلاث أقسام: كناية عن صفة كناية عن موصوف، كناية عن نسبة.

إن غرض الجرجاني من الكناية هو التنبيه إلى مستويين من المعنى وهما كما يتضحان لديه المعنى الأول وهو المعنى المباشر، ثم يأتي المعنى الثاني وهو معنى المعنى عن طريق النظر إلى قصد المتكلم والقيام بالاستدلال ما دام معنى المعنى مضمرا فهو يستدعي استدلالا من كلا الطرفين: من المتكلم كي يُحدث مزية في القول وصياغة تكسب جودة في الأداء، والإستعمال، كما أن الاستدلال يأتي من جهة المخاطب في كونه يقوم بعمليات اِستدلالية من شأنها أن تساعده في فهم القول وتأويله للوصول إلى معنى المعنى.

2- الاستعارة:

تعد الاستعارة من أحسن وسائل التبليغ لما توفره للمتكلم ليقنع المتلقي بتركيب استعارة ومنه نشير إلى جمالية الإرسال من أجل التأثير في المتلقي وأسر انتباهه فيتلذذ باستقبال الرسالة الكلامية مبثوثة إليه في أحسن صوره.[2]

فقد عرّفها الجرجاني: "أن تريد تشبيه الشيء بالشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء به فتغير المشبه، ويجريه عليه"[3]، إذ تعد نوع من الأجناس التي يجري فيها الفضيلة وأن تتفاوت التفاوت الشديد كقوله: "رأيت

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز،(في المعاني)، ، ص 54.

[2] عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، ص 283.

[3] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز،(في المعاني)، ، ص 51-52.

أسدا"[1]، و"وردت بحرًا"، و"ليقيت بدرا"[2]، وتكون الاستعارة في كلام الفحول ولا يقوى عليه إلا أفراد الرجال كقوله من الطويل:

وسالت بأعناق المطيّ الأباطح

ومعنى ذلك أنها سارت سيرا حثيثا في غاية السرعة وكانت سرعة في لين وسلاسة حتى كأنها كانت سيول وقعت في تلك الأباطح فجرت بها ويعنى على هذا الوجه والمعنى ذلك أنه لم يغرب بأن جعل المطي في سرعة سيرها وسهولته كالماء يجري كالأبطح فإن هذا شبه معروف ظاهر وهذا يكون تركيز عبد القاهر على فعل الإدعاء في الاستعارة بعد أن كان حديثه عنها في أسرار البلاغة منصبا على عملية النقل فيقول: إذا قلت: "رأيت أسدًا" فقد ادعيت في إنسان أنه أسد وجعلته إياه، ولا يكون الإنسان أسد، وإذا قلت: "أصبحت بيد الشمال زمامها"[3]، فقد ادعيت أن للشمال يذو المعلوم أنه لا يكون للريح يد.

تظهر الاستعارة بحسب كلام الجرجاني أنها إدعاء من المتكلم إثبات صفة معينة للمستعير له، ففعل الإثبات هو أساس حصول الإدعاء وهذا يكون ارتباطها بالمعنى دون اللفظ لأن سبيل المتكلم في ذلك هو التجوز عن طريق الإدعاء وفي ذلك يقول: فالتجوّز في أنّ ادعيت للرجل أنه في معنى الأسد، وأن كأنه في قوة قلبه وشدة بطشه، وفي أن الخوف لا يغامره، والدُّعرُ لا يعوض له.[4]

وقد رد عبد القاهر الغرابة إلى جمال في القول يكون إذا نظرنا إليه من خلال الترابط بين الكلمات وكيفية الإسناد فيها، فاللفظة ينظر إليها في موضعها من الاستعمال وهنا ربط لها بالفصاحة والدليل على ذلك أننا قد نجد اللفظ ملاحة وحسن في موضع دون آخر وذلك بفعل استعمال الذي يخرج اللفظ من معناه المفرد ليكتسب معنى ثان في السياق عن طريق التفاعل، مما يجعله يمتاز بالملاحة أو الردائة ومثال ذلك في قول أبي تمام:

من البحر البسيط:

لَا يَطمَعُ المرءُ أَنْ يَجْتَابَ جِنَّتَهُ بِالقَولِ ما لَمْ يكُنْ جسرًا له العملُ

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز،(في المعاني)، ، ص 52.

[2] المصدر نفسه ، ص 55.

[3] المصدر نفسه، ص 52.

[4] ،المصدر نفسه، ص 52.

وقوله كذلك: البسيط.

بَصَرتُ بالرَاحةِ العُظمَى فَلمْ تَراهَا تُنالُ إِلَا علَى جِسْرٍ منَ التَعَبِ

فقد لاحظ عبد القاهر التفاوت بين اِستعمال اللفظة نفسها في موضعين مختلفين فيقول لها في الثاني حسنا لا تراه في الأول ثم تنظر إليها في قول ربيعة:

قُولِ نَعمْ، وَنعمْ إنْ قُلتِ وَاجِبَةٌ قَالتْ: عَيسَى وعَسَى جسْرٌ إلَى نِعَمِ[1]

3- المجاز:

يرى عبد القاهر أن جمال المجاز لا ينبع من الكلمة ولا من ذاتها، إذ أن الكلمة لا تكون مجازا إلا وهي داخلة ضمن الكلام، ودائرة في إطاره، واعتبرت جزءا من التأليف والنظم، فقد عرفه في قوله: "فقد عول الناس في حده على حديث النقل وأن كل لفظ نقل عن موضوعه فهو مجاز، الكلام في ذلك يطول، وقد ذكرت ما هو الصحيح من ذلك في موضع آخر، وأنا أقتصر هاهنا على ذكر ما هو أشهر منه وأظهر[2]، فهو يبين أن المزية لا تحدث في الاستعارة والكناية والتمثيل، بل إلى الأحكام التي تحدث بالتأليف والتركيب، في قوله "اعلم أن طريق المجاز والاتساع، أنك ذكرت الكلمة وأنت لا تريد معناها، ولكن تريد ما هو ردف له أو شبيه، فتجوزت بذلك في ذات الكلمة وفي اللفظ نفسه، وإذا قد عرفت ذلك فاعلم أن في الكلام مجازا على غير هذا السبيل، وهو أن يكون التجوز في حكم يجري على الكلمة فقط، وتكون الكلمة متروكة على ظاهرها، ويكون معناها مقصودا في نفسه"، مثل: نهارك صائم وليلك قائم" فيكون المجاز زهنا في ذوات الكلم وأنفس الألفاظ، ولكن في أحكام أجريت عليها.[3]

ويعد المجاز كنز من كنوز البلاغة، ومادة خالصة لكل شاعر وكاتب بليغ في الإحسان والإبداع، والاتساع في طرق البيان، وهو أن يجيء بالكلام مطبوعا مصنوعا، يضعه بعيد المرام، قريب من الفهم.[4]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: لائل الإعجاز، ص 58-59.

[2] المصدر نفسه ، ص 51.

[3] المصدر نفسه، ص 192.

[4] المصدر نفسه، ص 193.

ويرجع عبد القاهر أن سبب حسن المجاز مرده إلى الإستعارة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ مريم :4، يعني بذلك أن الإستعارة جارية في لفظ اشتعل إلا أن الحسن أتى من قبل نظم الجملة على النحو المذكور، فأسند الإشتعال إلى الرأس، وكان حقه مسند إلى الشيب، وهذا هو المصدر الحقيق للحسن، لأن هذا الحسن متحقق دون الاستعارة.[1]

3- الأساليب الإنشائية عند عبد القاهر الجرجاني:

أ- الإستفهام: ورد الاستفهام في القرآن الكريم على أصل معناه وهو طلب الفهم ومعرفة المجهول كما في قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴾ الأعراف: 187، وقوله أيضا: ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾المائدة: 112

وذلك الإستعمال كثير في القرآن وأكثر منه أن يخرج الإستفهام عن أصل وضعه لمعان أخرى تفهم من سياق الكلام، ويكمن سر جمال أسلوب الإستفهام في أصل وضعه يتطلب جوابًا يحتاج إلى تفكير يقع به هذا الجواب في موضعه.[2]

كما ورد عند علماء المعاني أنه استعلام عن نسبة هي في أصلها خير لا يستفهم عن طلب، وما يميز بحث الأصوليين لهذه الظاهرة الأسلوبية الكلامية أنهم جعلوها متنقلة بين الخبر والإنشاء بحسب السياق وقصد المتكلم وغرضه من المخاطب.فالاستفهام الخبري نفي وإثبات والوارد للنفي يسمى استفهام إنكار.

والوارد للإثبات يسمى إستفهام تقرير لأنه يطلب بالأول إنكار على المخاطب وبالثاني إقرار به.[3] كما جاء في حديث عبد القاهر الجرجاني عن أسلوب الإستفهام هو آلية لبلوغ القصد من الإستفهام فهو يقوم بمثابة معادل موضوع في ذهن المرسل لما يدور من تساؤلات في ذهن المرسل إليه، ومثال ذلك، فإذا قلت: "أفعلت فبدأت بالفعل، كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك أن تعلم وجوده، وإذا قلت "أأنت فعلت؟ فبدأت بالإسم كان الشك في الفاعل "من هو" وكان التردد فيه[4]، فمما ينبغي أن يعلم من اللغة علما ضروريا من

---

[1] عبد القادر حسين:أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 1998، ص 403.

[2] أحمد أحمد بدوي:من بلاغة القرآن، الإدارة العامة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص 126.

[3] مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص 163.

[4] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 80.

أسلوب الاستفهام في تصور عبد القاهر أنه لا تكون البداية بالفعل كالبداية بالاسم، فضرب مثالا على ذلك في قوله: "أقلت شعرا قط؟ أرأيت اليوم إنسان؟[1] فيكون كلاما مستقيما وعلى هذا الأصل حمل عبد القاهر معنى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ الأنبياء: 62.

وبالتالي ليس قصد المتكلمين بهذا الكلام أن كسر الأصنام قد كان وإنما أن يقر لهم إبراهيم أن الكسر منه كان وبأنه هو الفاعل لهذا الفعل ولم يكن غرضهم من إبراهيم أن يخبرهم عن الفعل ذاته، فالفعل ظاهر موجود مشار إليه في الآية، ولهذا كان جواب إبراهيم لهم بقوله: "بل فعله كبيرُهُمْ هذَا"، ولو كان التقدير بالفعل لكان الجواب فعلت أو لم أفعل، فالناظر إلى معنى الِاستفهام بوصفه غرضا إبلا غيا متعلقا بالتحقق وعدمه في التصور والتصديق أو بمصطلحات المعاصرين فعلا كلاميا اِستعماليا يقوم بوظيفة تواصلية في غاية الأهمية، إذ وضع النحاة العرب لأسلوبه بعض القيود التركيبية حتى لا يفقد هويته الإنجازية، أي ليكون محافظا على معناه الفني الذي أضفاه عليه أو ستين حتى يصنع أفعال اجتماعية متوخاة منه فيكون فعلا كلاميا ناجحا ويحقق شرط الفائدة الخاصة التي يتوخى المتكلم إيصالها إلى المخاطب فالاستفهام من القواعد التداولية التي اِهتم بتحليلها عبد القاهر الجرجاني وخصوصا الاستفهام بالهمزة مثل في قوله" أفعلت" وقوله كذلك" أأنت فعلت".

ب- أسلوب الأمر:

لقد وظف الجرجاني في خطابه أسلوب الأمر ويظهر ذلك من خلال الفعل الكلامي "اعلم" حيث يوجهه للمرسل إليه أو لمخاطبه قصد التمعن فيما أتى به في قوله: "اِعلم أنا إذا أضفنا الشعر أو غير الشعر من ضروب الكلام إلى قائله لم تكن إضافتنا له من حيث هو كلم وأوضع لغة، ولكن من حيث توخي فيها النظم الذي بيننا أنه عبارة عن توخي معاني النحو في معاني الكلم".[2]

فهو قد استعمل أسلوب الأمر في الفعل "اعلم" ليخرج به عن دلالة الأمر إلى قصد إعمال الذهن عند المرسل إليه وتقرير الحكم فيما يخص النظر وحاله هنا حال الذي يتوخى التوجيه لمخاطبه دون ممارسة وجوب الأمر عليه، فإنما الأخبار يكون بأسلوب العرض لا الوجوب، ليحدث تأثيرا في المرسل إليها

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 81.

[2] المصدر نفسه، ص 234.

3- أساليب المتلقي:

1- أسلوب الإقناع في دلائل الإعجاز:

اِختار عبد القاهر الجرجاني أساليب مناسبة لمقام القول من أجل إيصال مقاصده عبر الخطاب وذلك من أجل إفهام المتلقي وتوصيل الغرض أو القصد إليه والمتمثل في أسلوب الإقناع هذا الأخير الذي يعد من اِستراتيجيات الخطاب لأنه يتصل بالغاية التي يرسمها في ذهنه ويوجهها إلى متلقيه، وتتصل هذه الآلية بأهداف المرسل إستراتيجية تداولية تعرف بإستراتيجية الإقناع ومن أجل ذلك يورد حججا يقنع من خلالها سامعه (المخاطب) فيقول: "يضرب مثلا قد ينبأ عن حسن قد عرفه على الجملة وفضيلة قد أحسها من غير أن يتبع لذلك بنيانا ويقيم عليه رهان ويذكر له علة، ويورد فيه حجة"[1]، وذلك من أجل تحقيق فعل الإقناع عنده"، نظرا لأهمية فعل الإقناع يرى بن ظافر الشهري "أن الوظيفة الإقناعية من وظائف البلاغة بالإضافة إلى الوظيفة التأويلية والوظيفة الكشفية والوظيفة التربوية، والتي تساهم في فهم الخطاب وتأويله.[2]

حيث يسعى المخاطِبْ دائما إلى الإستدلال على أقواله قصد حصول الإقناع لدى المخاطَب الذي يسعى بدوره إلى المطالبة بالدليل على قول المخاطب.[3]

2- أسلوب الفهم:

وظّف الجرجاني في كتاب دلائل الإعجاز أساليب متعددة، قصد توصيل خطابه إلى المتلقي مستخدما العناصر السياقية المناسبة، غرضه إيصال رسالته إلى ذهن المتلقي والظفر به وإقناعه، وذلك من خلال استعماله للغة والأسلوب الطرح المعرفي لأفكاره، فيه لغة تساهم في تحقيق التفاعل بين طرفي الخطاب من أجل إفهام المتلقي وتوصيل الغرض أو القصد إليه، كما في قوله: "واعلم أنه ليس إذا لم تمكن معرفة الكل، وجب ترك النظر في الكل، وأن تعرف العلة والسبب فيما يمكنك معرفة ذلك فيه وإن قل فتجعله شاهدًا فيما لم تعرف، أحرى من أن تسدّ باب المعرفة على نفسك، وتأخذها عن الفهم، والتفهم وتعودها الكسل".[4]

---

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 51.

[2] ينظر: بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 445.

[3] ينظر: طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط1، 1998، ص 225-226.

[4] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 191.

3- الإنكار:

باعتبار كتاب دلائل الإعجاز خطابا موجها من طرف صاحب الكتاب عبد القاهر الجرجاني إلى طرف آخر متلقٍ لخطابه، فيستقبل هذا المتلقي هذا الخطاب على وجوه وآراء مختلفة تكون بحسب درجة فهمه ومعرفته لذلك الخطاب، إما أن يكون خطابا مقناعا قريبا من فهمه وإمّا أن يكون فيه شك وليس، وبالتالي يؤدي إلى إنكار لا يصادق القول في هذا الباب موقعا من السامع، ولا يجد لديه قبولا حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة، وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بأن لما يومئ إليه من الحسن واللطف أصلا، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام، فيجد الأريحية تارة، ويعرى منه آخر، وحتى إذا عجبته عجب، وإذا نبهته لموضع المزية انتبه"[1]، ومن خلال هذا القول نلاحظ أن السامع كان منكرا لخطابه وذلك لعدم ذرايته بالذوق والمعرفة، وهذا ما جاء به متجليا في قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ البقرة: 179، والسبب في التنكير أنه لم يحسن التعريف.

[1] عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 190.

الخاتمة

مما تم ذكره فيما سبق توصّلنا إلى حوصلة من النتائج نجملها فيما يلي:

- أنّ للبلاغة علاقة وطيدة بالقرآن، إذ تساهم البلاغة في الكشف عن فكرة الإعجاز، كما كان لتفسير القرآن فضل كبير في بناء صرح البلاغة.
- أن التداولية علم تواصلي جديد، يعنى بكل ما يتصل بالعمل التخاطبي، إذ يقوم بمهمة دراسة الشروط التي تضمن النجاح والفاعلية المناسبة لكل استخدام لغوي وفق لما يقتضيه ويتطلب كل موقف تواصلي.
- بيان منزلة التداولية ضمن الدراسات اللغوية، والاهتمام بها كعلم حديث.
- معرفة المصطلحات التداولية وتطوراتها.
- تبيان أهم الإرهاصات التداولية في الدرس العربي القديم، وأهم جهود علماء العرب في البحث التداولي.
- معرفة أهم المصادر التّراثية العربية التي تناولت التداولية، كالمقام والسياق، وأفعال الكلام وغيرها، ومن بين هذه المصادر نذكر: كتاب البيان والتبيين للجاحظ، مفتاح العلوم للسكاكي، ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، وهذا الأخير الذي قمنا بدراسة تطبيقية حوله.
- أن البلاغة ترتبط إرتباطا وثيقا بالتداولية، وذلك من خلال العناصر المشتركة في عملية التخاطب والمتمثلة في المتكلم والمخاطب والسياق والخطاب، وكلها تستدعي تركيز الكلام على مقتضى الحال ومطابقته.
- بيان طريقة عرض خطاب عبد القاهر في العملية التواصلية، ويظهر ذلك من خلال أسلوب الكتابة، وأسلوب الطرح المعرفي لأفكاره.
- في كتابه دلائل الإعجاز تمكن عبد القاهر من تحقيق التكامل بين علمي النحو والمعاني، وذلك من خلال عنايته بالتركيب والمعنى، والنظر إليها من وجهة تداولية.
- إبراز أهم العناصر التي اعتمدها الجرجاني في تحليل وتفسير العملية التواصلية، وذلك من أجل إيصال مقاصده وأغراضه للمتلقي.
- التعرف على أهم النظريات التي درسها الجرجاني في كتابه، حيث أولى اهتماما كبيرا لنظرية النظم والإعجاز القرآني.
- معرفة العلاقة التي تربط كتاب دلائل الإعجاز بالدرس التداولي المعاصر وذلك من خلال بيان المصطلحات التداولية الواردة فيه من أجل تحليلها وتفسيرها في ضوء الإستعمال التداولي.

- تحديد نقاط اِتصال واِمتداد البلاغة القديمة، وإحياؤها من منظور معاصر.
- أن كتاب دلائل الإعجاز كتاب في تحليل الخطاب، وذلك لما يحمله من مواطن الاشتغال عليه، كالخطاب، السياق، المتكلم، السامع، ودراستها وفق منهج التحليل المعاصر.

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم.

أولا:الكتب

1. ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط2، 1991.
2. ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون دار الجيل، ط2، 1991.
3. أبو بكر محمد الخطيب الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف للنشر والتوزيع، مصر، (د.ط)، (د.س).
4. أبو حازم القرطاجني: منهاج البلعاء وسراج الأدباء تحيق محمد الجيب ابن الخوجة، الدار العربية للكتاب، ط2، 2008م.
5. أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1998.
6. أبو يعقوب السكاكي: مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983.
7. أحمد أبو شوارب، محمود المصري: مدخل إلى دراسة البلاغة العربية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 2007م.
8. أحمد أحمد بدوي: من بلاغة القرآن، الإدارة العامة للنشر والتوزيع، مصر، ط2005.
9. أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان، المكتبة العصرية لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، 2002م.
10. آلان روبول، جاك موشلار: التداولية علم جديد في التواصل، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2003.
11. حافظ إسماعيل علوي وآخرون: التداوليات وتحليل الخطاب، دار الكنوز المعرفية العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2014م.
12. حافظ إسماعيل علوي: التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2001.
13. حميد آدم تويني: البلاغة العربية المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008م.
14. حنفي ناصف وآخرون: دروس في البلاغة، مكتبة الهدى المحمدي، ط1، 2005م.
15. الخليل بن أحمد الفراهدي: العين تحقيق عبد الحميد الهنادوي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003.

16. دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ-2001م.

17. دومنيك مانغو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرو، الجزائر، ط1، 2008.

18. صابر الحباشة، الأسلوبية والتداولية مداخل لتحليل الخطاب، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.

19. صالح بلعيد: نظرية النظم، دار هومة للنشر والطباعة والتوزيع، الجزائر، ط3، 2009م.

20. صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، مكتبة لبنان، ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1996.

21. الطاهر أحمد مكي: دراسة في مصادر الأدب، دار الفكر الأدبي، ط8، 1999م.

22. طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000.

23. طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط2، 1998.

24. عادل سالم: أهمية المصطلح في الفكر الإسلامي، مركز التأصل للدراسات والبحوث.

25. عباس حشاني: خطاب الحجاج والتداولية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الأردن، (د.ط)، 2013.

26. عبد العزيز عتيق: في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، د.س.

27. عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)، 1998.

28. عبد القادر حسين: المختصر في تاريخ البلاغة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.س).

29. عبد القاهر الجرجاني: الرسالة الشافية في إعجاز القرآن الكريم، دار المأمون للتراث، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

30. عبد اللطيف صوفي: مصادر الأدب في المكتبة العربية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، (د.ط)، (د.س).

31.عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الجديدة المتحدة، لبنان، ط1، 2004.

32.عز لدين إسماعيل: المصادر اللغوية والأدبية في التراث العربي، مكتبة غريب للطباعة، القاهرة، مصر، (د.س)، (د.ط).

33.عفت الترقاوي: بلاغة العطف في القرآن الكريم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، (د.ط)، 1981.

34.علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية، شارك في إعداده أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحية، المكتبة الإقليمي الشرق الأوسط، معهد الدراسات المصطلحية، فاس، المغرب، 2005.

35.علي القاسمي: علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، 2008.

36.علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، مصر، (د ط)، (د س).

37.علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، دار الكتاب العربي، لبنان، (د ط).

38.عمار ساسي، المدخل إلى علم النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، ط1، 2007م.

39.عمار ساسي، صناعة المصطلح في اللسان العربي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.

40.عمر بلخير، مقالات في التداولية والخطاب، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، (دط)، 2013.

41.فريدة موساوي: المفاهيم الأساسية في تحصيل الخطاب، عالم الكتب للنشر والتوزيع، تيزي وزو، الجزائر، ط2، 2010.

42.فضل حسين عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم المعاني، دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن، ط12، 2009.

43.لعبيدي بوعبد الله: مدخل إلى علم المصطلح والمصطلحية، الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر (د ط)، (د س).

44.مازن مبارك: الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر للنشر والتوزيع، (د.ط)، (د.س).

45.محمد الديداوي: الترجمة والتعريب، المركز الثقافي، المغرب، ط1، 2002.

46.محمد الدين الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تحقيق أنس محمد الشامي وآخرون، دار الحديث، القاهرة، مصر، د ط، 2008.

47.محمد أمهاوش: قضاييا المصطلح في النقد الإسلامي الحدي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2010.

48.محمد بركات، حمدي أبو علي: كيف نقرأ تراثنا البلاغي، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1999م.

49.محمد كريم كواز: البلاغة والنقد، مؤسسة الانتشار العربي، ط1، 2006.

50.محمد علي التهانوي ،كشاف اِصطلاحات الفنون، تحقيق علي دحروج، ج 2، مكتبة لبنان، ناشرون "1، 1996.

51.محمود طلحة: تداولية الخطاب السردي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.

52.محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة، القاهرة. د.ط، 1993.

53.مسعود بودوخة: الساق والدلالة، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2012.

54. مسعود بودوخة: مدخل إلى البلاغة العربية وعلومها، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2005م

55.مسعود صحراوي: التداولية عند علماء العرب، دار الطليعة للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 2005.

56.مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية، مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2003.

57.مصطفى طاهر الحيادرة: من قضايا المصطلح اللغوي العربي، عالم الحديث للنشر والتوزيع، ط1، 2003.

58.ممد يحياتن: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د ط)، (د س).

59.مواري سعودي أبو زيد: في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراءات، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف، الجزائر، ط1، 2011.

60.يوسف أبو العدوس: مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007م.

61.يوسف وغليمي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي، دار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 2008.

ثانيا: الرسائل الجامعية

1. بودرهم مريم: إشكالية المصطلح اللساني في الكتابات العربية الحديثة، مذكرة لنيل شهادة الماستر، جامعة بسكرة، 1433/ 1434، 2013/2012.
2. رشيد عزي: إشكالية المصطلح في المؤلفات العربية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة البويرة.
3. وهيبة لرقش: المصطلح بين الترجمة والتعريف، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة.

ثالثا: المجلات والدوريات

1. عادل سالم: أهمية المصطلح في الفكر الإسلامي، مركز التأصيل للدراسات والبحوث 7 أكتوبر 2015.
2. لهويمل باديس: مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد7، 2011.
3. محمد مرياتي: المصطلح في مجتمع المعلومات أهميته وإدارته وأدواته، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا، الإسكوا، النادي العربي للمعلومات.

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
مقدمة	أ-جـ
مدخل	21-5
1- تعريف البلاغة	5
2- نشأتها وتطورها	6
3- البلاغة والقرآن	11
4- أمهات الكتب في البلاغة:	14
- البيان والتبيين للجاحظ	14
- مفتاح العلوم للسكاكي	17
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني	18
- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني	20
الفصل الأول: في ماهية التداولية والمصطلح	23
المبحث الأول: تعريف التداولية	23
- نشأتها وتطورها	25
- مبادئها وأقسامها	27
- مهامها	28
- أهميتها.....	29
- التداولية والبلاغة	30
- المبحث الثاني.....	32
- تعريف المصطلح	32
- نشأته وتطوره	35
- أهميتها.....	37
- سماته	39
- وظائفه	40
الفصل الثاني: دراسة تطبيقية في دلائل الإعجاز	44
1- التعريف بصاحب الكتاب.....	44

2–المصلحات التداولية في دلائل الإعجاز.....	45
1–مصطلحات العملية التواصلية	45
– مصطلح تداولية المتكلم	45
– مصطلح تداولية المتلقي	47
– مصطلح تداولية الخطاب	48
2–مصطلحات الخطاب	62
أ.الأدوات النحوية	62
ب.الأساليب البيانية	67
ج.الأساليب الإنشائية	71
3–مصطلحات المتلقي.....	73
أ. الإقناع	73
ب. الفهم	73
ج. الإنكار	74
الخاتمة.....	77-76
المصادر والمراجع.....	83-79